صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الأول

المجلة الجديدة

العدد الاول
من
السنة الثامنة

حارة جاد – شارع الفجالة — مصر

يناير ١٩٣٩

افتتاحيـــــــات

جرنيكا : رمز العام الماضي

انتهى عام ١٩٣٨ على اسوأ حال لجميع الامم الديمقراطية . فقد انحلت الجبهة الشعبية المؤلفة من احزاب اليسار في فرنسا لحماية الديمقراطية [illegible] وجيوش الصين الديمقراطية تنهزم امام الديكتاتورية اليابانية . وفرانكو يوشك ان يقضي على الجمهورية الاسبانية . والدول الديكتاتورية في انتصارات متوالية . وروسيا الاشتراكية في تضعضع ينبيء عن فساد في احشائها . وقوات التنازع تنتصر على قوات التعاون . ويرى القارىء في هذا العدد (صفحة ١٦) رسما للرسام الاسباني بيكاسو لمدينة جيرنيكا التي دمرها الجنرال فرانكو بطائراته . وهو الرمز لتغلب الوحشية على المدنية في العام الماضي . وهذا الرسم لا يساويه في روعة الخيال غير بشاعة التصوير التي احتواها وهي التي تنطق بفظاعة الحرب بين الاخ واخيه في اسبانيا

وقد استعرنا هذا الرسم من «جماعة الفن والحرية» في القاهرة

تونس

كثر الكلام هذه الأيام عن تونس التي أثارت فجأة خلافا بين فرنسا وإيطاليا ولذلك نرى من

الملائم أن نذكر الحقائق التالية للتنوير

تونس قطر تشمله الحماية الفرنسية ويتولى الحكم فيه « باى » من أسرة تنتمى إلى الحسين بن على وقد تولت الحكم فى تونس منذ سنة ١٧٠٥ والباى الحاضر هو سيدى محمد الحبيب الذى ولد سنة ١٨٦٢ وتولى سنة ١٩٢٩

وفى سنة ١٨٨١ غزت فرنسا تونس واستولت عليها. ولم تجد اية معارضة لأن المانيا كانت ترى أن من مصلحتها ان يتجه النشاط او « المجد » كما كانت تزعمه فرنسا نحو تونس وتشتغل بغزوها بدلا من أن تجهز فكرة الثأر من المانيا لاسترداد الزاس ولورين الولايتين اللتين تزعمها المانيا منها فى حرب ١٨٧٠

ووزارة الشؤون الخارجية فى فرنسا هى التى تحكم تونس فتبعا قسم لها . وهى تنتدب « مقيما عاما » لكى يدير حركة الحكومة فى تونس . وهذا المقيم يعين وزارة مؤلفة من ١١ وزيرا منهم ٨ فرنسيون و ٣ تونسيون

ويبلغ سكان تونس ٢٢١٥٣٩٩ بحسب آخر احصاء . وهؤلاء جميعا من التونسيين الأصليين ومن هؤلاء ٥٦٢٤٢ يهودى . ويزاد على هؤلاء ٩١٤٢٧ من الفرنسيين (وليس منهم الجنود الفرنسيون) و٩١١٧٨ ايطالى . وهناك جاليات اجنبية أخرى صغيرة العدد

ويجب ان نلاحظ هنا ان اليهود لا ينتمون الى رعوية اجنبية لأنهم استوطنوا تونس قبل الاحتلال الفرنسى ومعظم هؤلاء من أصل اسبانى أو ايطالى وهم يتولون الحركة التجارية والمالية فى تونس . كذلك يجب ان نلاحظ ان عدد الأيطاليين يساوى عدد الفرنسيين تقريبا ولهؤلاء الأيطاليين « امتيازات » حصلوا عليها من الباى قبل احتلال فرنسا لتونس وهى امتيازات لا تتمتع بها سائر الجاليات الأوربية . وقد اضطرت فرنسا إلى مراعاتها بعد الاحتلال . وأهم هذه الامتيازات أن يحتفظ الأيطاليون المقيمون والمولودون فى تونس برعويتهم الأيطالية. ورضيت فرنسا بالتسليم للايطاليين بهذا الحق وبغيره لأن ايطاليا لم يكن فيها حوالى سنة ١٨٨٣ ما يدل على مطامع سنة ١٩٣٨

ولكن قبل سنوات شعرت فرنسا بأن الايطاليين يندفعون فى التوالد إلى درجة تقلقها إذ قد يأتى يوم يزيدون فيه على عدد الفرنسيين وعندئذ تقوى الحجة الايطالية فى احتلال تونس دون فرنسا

وقد عالجت فرنسا هذا الموضوع بين سنتى ١٩٢١ و ١٩٢٦ علاجين مختلفين :

١ — ذلك انها نقلت عددا من المحاربين القدماء من فرنسا مع أسرهم الى تونس ومنحتهم أرضا يزرعونها ويعيشون منها

٢ — سنت قانونا منحت به أبناء الايطاليين الذين دخلوا فى الرعوية الفرنسية وجحدوا رعيتهم الايطالية السابقة حق علاوة ٢٥ فى المائة فى المرتب اذا عينوا فى الوظائف الحكومية

وهنا شعر الزعيم موسولينى بان النية معقودة على استهلاك الاكثرية الايطالية حتى تعود أقلية لا يؤبه بها . وعندئذ لا يمكن ايطاليا أن تجد العلل لدعوى الاحتلال . فانفذ إلى تونس أحد دعاته وعينه قنصلا . واستطاع هذا بعد قليل من الزمن أن يحيل نصف الجالية الايطالية إلى فاشيين مخلصين لايطاليا يتطرون بعينها ويتشدقون باغنيتها الفاشية

ولكن الزعيم الايطالى فوجىء سنة ١٩٣٥ بتألب الدول عليه ومقاطعتها له فى الحرب الحبشية وتوقيع الجزاءات . ولذلك رأى من الملائم أن يتفق مع فرنسا على جحد الحقوق الايطالية فى تونس. وقد دهش الايطاليون فى تونس لهذا الاتفاق الذى لم يكونوا يتوقعونه. ولكن موسولينى شرط أن يرجأ تنفيذ الاتفاق الى سنة ١٩٤٥ من حيث استقلال المدارس الايطالية فى تونس . وان يرجأ عشرين سنة من حيث الرعوية الايطالية . وقبل المسيو لافال هذين الشرطين وهو يظن انه كسب بالاتفاق . فى حين ان الهدف الذى رمى اليه موسولينى لم يكن سوى استرضاء فرنسا سنة ١٩٣٥ حتى لا تجد كل الجد فى تنفيذ الجزاءات . وقد نال هذا منها وخابت عصبة الامم فى هذا التنفيذ وغزت ايطاليا الحبشة . والآن يقولون فى روما أن اتفاق سنة ١٩٣٥ لم يعقد

والآن يريد موسولينى أن يمتلك تونس حتى تضم إلى طرابلس فيكون منها تحقيق لقسم كبير من الدولة الرومانية

جدل عتاقة

ازاء تكاليفنا الجديدة التى اقتضاها الاستقلال وزاد فى عبئها الموقف الجديد فى البحر المتوسط بل ازاء الزيادة المطردة فى السكان مع تدهور القطن فى مصانع العالم وقلة مايستصلح كل عام من

الأرض للزراعة — ازاء هذا وغيره ، يجب أن نفكر فى موارد جديدة تزيد ثروتنا وتفتح أبواب الرزق لابناء الأمة . وفى مقدمة مايجب أن نبحثه هو جميع الممكنات التى تستطيع الأمة أن تعتمد عليها فى شأن السياحة فى مصر . . وقد سبق أن بينا أن بلادنا تجمع من الميزات التى تجتذب السائحين مالاتجمع مثله بلاد أخرى . ولكنا مع الأسف لانستغل السياحة كصناعة من الصناعات العظيمة التى يجب أن يحترفها شباننا بل ليس عندنا من المدارس مايختص بتدريس هذه الصناعة . مع أن فى سويسرا مدرسة عالية تدرس الشبان والفتيات السويسريين أصول العناية بالفندق والمطعم . والشهادة التى تعطى لخريجى هذه المدرسة ، تستوى والشهادات الجامعية العليا فى الطب أو الهندسة أو العلوم أو الآداب .

ونحن نقف مدهوشين حين نقرأ ان فرنسا تربح كل عام من السائحين والزائرين نحو مائتى مليون جنيه ، وأن ثلاثة أرباع السكان فى سويسرا يعيشون بخدمة السائحين وأن السويسريين نجحوا فى اقناع العالم بأن جبالهم تصلح أن تخدم النقيضين فتكون مصيفا ومشتى . وليس فى سويسرا أو فرنسا من عوامل الاغراء مثل ما فى مصر مع اننا لانكاد نربح شيئا من السياحة بل حتى القليل من هذه الصناعة هو فى ايدى ابناء الجاليات الاجنبية دون ابنائنا

على اننا يجب أن نسلم بأن سويسرا تمتاز مع ذلك بالجبال التى تقطع السحب وتعلو عليها وتعرى بثلوجها فى الصيف والشتاء . وقد كان مما يؤلمنا حقا انه ليس لنا جبال عالية يمكن أن نرتاض عليها بالتسلق وان نجد فى مستواها العالى ذلك النسيم الذى تستروحه النفس فى الصيف وذلك الصحو الذى نشتاق اليه فى الشتاء . ولذلك قوبل خبر جبل عتاقة بالفرح العظيم بين عامة القراء . وهو ليس بالطبع فى مستوى جبل سويسرا وهو لايقتنص الثلج من السحاب كما تقتنصه جبال تلك البلاد . إذ هو لايرتفع سوى ٩٠٠ متر أى انه دون الكيلو متر بقليل

وخلاصة الخبر كما يذكر القراء ان محافظ السويس الاستاذ أحمد رسم بك زار هذا الجبل أو راده وطوف فيه وجول . فوجد انه لايبعد عن السويس كثيرا إذ ان المسافة بينهما تبلغ عشرين مترا . فهو من حيث الاعتبارات السياحية على قيد خطوة بالاتومبيل . وهو لذلك يليق بأن يكون مصيفا ومشتى نجد فيه تلك الفرصة التى كنا نظن اننا محرومون منها على الرغم من احتواء بلادنا لجميع

الميزات السياحية . نعنى هذا التسلق الذى يعد من أجمل الرياضات فى جبال الالب وغير الالب فى أوربا . فظهور جبل عتاقة أو إخراجه الى حيز الوجدان بعد أن كان منسيا يعد بمثابة الاكتشاف الذى يجب أن نشكر عليه الاستاذ أحمد راسم . ولذلك يجب أن نسارع الى استغلاله

وقد تنبه بنك مصر باليقظة المعروفة فى رجاله فى مثل هذه الظروف وعقد العزم على إنشاء فندق على قمة هذا الجبل . وهذا إقدام قد تعودناه منهم وهو إقدام يحمدون عليه . كما أن وزير التجارة والصناعة بنشاطه الذى يعرفه عنه أصدقاؤه وتعلقه بالرياضة بادر الى زيارة هذا الجبل وعرف ميزاته الرياضية وهو لا بد سيقدم المعونة اللازمة للدعاية حتى ينتفع به أبناء البلاد والاجانب معا سواء فى الصيف أم فى الشتاء

على أننا ما كنا لنكتب هذه الكلمة لولا أننا سمعنا أن مدير مصلحة السياحة لا يوافق على أن تتجه الحكومة بعنايتها الى هذا الجبل وإحالته إلى مصيف ومشتى للسائحين من الاجانب والوطنيين . وهو يرى أن أولى بها ان توجه عنايتها الى تحسين مرسى مطروح لان هذا المكان يغرى السائحين الاجانب بالاصطياف أو التشتية فيه . والحق أن هذا الكلام يدعو الى العجب . فان مرسى مطروح بعيدة الشقة فى السفر ولا يمكن المتوسطين أن ينتفعوا بها . وفى أوربا والشواطىء الجنوبية عشرات من المشاتى تمتاز عليه ثم هو بعد التحسين وانفاق المبالغ الضخمة عليه لن يزيد على أن يكون تكراراً للمصاييف القائمة فى الاسكندرية وبورسعيد ورأس البر . ولكن جبل عتاقة يعد جديداً بل طريفا لان مصر كانت محرومة الى الآن من جبل يحتوى ميزات الجبال من تمكين زائريه من التسلق والاستمتاع بالجو النقى والشمس الصاحية فى الشتاء ومن النسيم الرقيق فى الصيف

التعليم الالزامى

أرسل وزير المعارف الى مفتشى المدارس الالزامية وكبار رجال التعليم يسألهم عن قيمة التعليم الالزامى ونظامه والمقترحات التى يستطيعون ان يقدموها للاصلاح اذا كان هناك ما يدعو اليها . وقبل أعوام زار أحد الوزراء المدارس الالزامية فى مديرية الجيزة ثم أصدر تقريرا يقول فيه انه وجد خريجى هذه المدارس ينسون ما تعلموه فيها وحمل على أسلوب التعليم فيها

ومن استفتاء الوزير الحاضر ومن تقرير الوزير السابق يمكن القارىء ان يستخلص ان الآراء لم تستقر على قيمة هذا التعليم وان المجال لا يزال واسعا للتفكير فى التعليم الاولى من عدة وجهات ومن حيث أساليبه وغايته معا . وبديهى ان التعليم ليس غاية فى ذاته وانما هو وسيلة الى الاستنارة فاذا فرضنا انا علمنا شخصا ما مدة اربع سنوات او خمس فى المدرسة الاولية وأنفقنا عليه النفقات الطائلة حتى تخرج ثم بعدذلك حرمناه من القراءة فان التعليم السابق يعود كأنه لم يكن . اذ اننا قد علمناه لكى يقرأ وهو لا يجد ما يقرأ . ثم هو يبدأ الاهمال ينسى ما تعلمه . لأن القراءة فن مثل جميع الفنون يجاد بالممارسة والمرانة . وهو ينسى بالاهمال . وابناء الفلاحين حين يتركون المدارس الالزامية لايجدون ما يقرأون ولذلك سرعان ما ينسون ما تعلموا . ولو كان لأحدهم القدرة على أن يقرأ ولو مجلة أسبوعية أو لو كانوا يستطيعون شراء كتاب بالتعاون يتناوبونه لكانوا يجدون الباعث الذى يحركهم إلى القراءة والى تذكر ما تعلموه فى المدرسة

ولذلك نحب أن نبعث إلى قلوب بعض المسيطرين على التعليم الالزامى شيئا من الشك عن قيمة هذا التعليم وأن نقول أن الأساس للثقافة العامة بين أبناء الشعب يتوقف على الحال الاقتصادية أى على قدرة المتعلمين فى المدرسة على أن يجدوا ما يقرأونه وهم لن يجدوه إلا إذا استطاعوا أن يشتروا من وقت لآخر كتابا أو مجلة أوجريدة . فاذا عجزوا عن ذلك — وهذا العجز عام بين الفلاحين . فانهم ينسون ما تعلموا . وعندنا أن الوزير السابق الذى جاء ببعض خريجى المدارس الالزامية وامتحنهم فلم يجد عندهم أية خبرة بالقراءة انما يرجع جهلهم إلى أنهم منذ تركوا المدارس لم يقرأوا شيئا . ولذلك نسوا ما تعلموه فيها . ولذلك نستطيع ان نقول أن العيب ليس فى نظام التعليم وحده بل هو أيضا فى الحال الاقتصادية التعسة التى تجعل شبان الفلاحين لا يبالون فى الدنيا غير البحث عن الطعام . وهو مع ذلك طعام الرمق من الذرة

وقد يظن القارىء اننا ندعو الى الغاء التعليم الالزامى لهذا السبب. ولكن الحقيقة أننا لانقصد الى هذا وانما نريد ان نوجه النظر إلى أن الرقى الاقتصادى هو الاساس الراسخ لكل رقى آخر . واننا ما دمنا نريد التعجيل فى نشر التعليم الالزامى يجب ان نختار البيئة التى نتوسم فيها قدرة الناشئين على ان ينتفعوا بعد تخرجهم من المدارس الالزامية بالقراءة . وعندنا ان هذه البيئة هى بيئة

المدن دون الريف . لان العامل فى المدينة يكسب اكثر ويعيش على مستوى ارفع من الفلاح فى الريف . فاذا تعلم ابنه أو بنته فانهما بحكم البيئة المدنية وبحكم القدرة الاقتصادية يستطيعان الانتفاع بما تعلمه كل منهما . إذ قد يشترى أحدهما مجلة أو جريدة أو كتابا . بل قد يكتب أحدهما حسابا. وهو يجد فى ظروف العيش فى المدينة ما ينبه ذهنه ويبعثه على الاستزادة من القراءة . وفى غضون هذا التعليم الذى نفشيه بين ابناء العمال فى المدن نعمل للرقى الاقتصادى بين الفلاحين ونسير رويدا رويدا فى انشاء المدارس والقرى التى نتوسم فيها الرخاء والتى يكثر فيها اصحاب العقارات الصغيرة . وهذا الكلام يمليه علينا منطق صارم لايمكننا ان نهرب منه

فى السجون

فى الخمسين عاما الماضية تطور الرأى المثقف فى الجريمة . فقد ظهر لومبروزو فى السنين الاولى من هذه المدة واغرق العالم الاوربى بنظرية فجة هى نظرية استهوت الاذهان وشطحت فيها الاراء والمذاهب . وكانت فى خلاصتها أقرب الاشياء الى القول بان المجرم لامنجاة له من الجريمة لانه ورثها فى دمه فهى مقدرة عليه ولذلك لاسبيل الى اصلاحه . ولما لم يبعث على حسن الظن بالطبيعة البشرية ويدعو الى التفاؤل ان نقول ان هذا الرأى الفج قد تغير . ويذكر كاتب هذه السطور حادثة وقعت فى السنين الاخيرة من حياة لومبروزو . فقد وقعت جناية فظيعة من مجرم فى باريس يدعى سوليان بصبية صغيرة اغتصبها وقتلها . فارسل احد الناجين رسما لكف الكاتب فكتور هوجو الى لومبروزو واوهمه انه رسم كف ذلك المجرم وطلب اليه ان يبين العلاقة بين خطوط هذا الكف وبين الجريمة الفظيعة التى وقعت ووقع لومبروزو فى الشرك الذى نصب له . وخرج من الرسم بان صاحبه مجرم فظيع وهو رسم كف فكتور هوجو ..

ولا يقول أحد بالانكار التام لقيمة الوراثة فى الميول والنزعات والنزغات . ولكن الوراثة هنا هى وراثة الدرجة وليست وراثة النوع . واذا لم يكن السيكلوجى الامريكى واطسون قد استطاع أن يمحوا أثر الوراثة فانه نجح كل النجاح فى ايضاح قيمة الوسط وان له الأثر الفعال فى تكييف الاخلاق. وهذا هو الرأى الذى قال به روبرت أوين قبل أكثر من مائة سنة . بل ان هناك ما يدل على ان أرسطو المعلم الاكبر كان يؤمن بهذا الرأى حين قال ان الاخلاق ليست سوى عادات

وخلاصة القول ان المجرم ليس شريرا بطبيعته وانما هو وقع في الشر بقوة البيئة المحيطة به. ولذلك فان اصلاحه مرجو في كل وقت باصلاح هــذه البيئة أي بتعويده عادات جديدة . وعلى هذا الاعتبار لا يجوز لنا أن نقطع الامل في اصلاح إي مجرم . بل ان هذا الاصلاح يتحتم علينا وهو حق للمجرم على الهيئة الاجتماعية التي اذاها لانها سبق لها ان اذته في اهمال تقويمه

وهذا النظر الجديد للجريمة هو الذي يبعث بالحكومات المتمدنة على اصلاح السجون وهو الذي يجعلها تعود الى مراجعة قوانين العقوبات . ويتجه هذا الاصلاح الى جملة أشياء نذكرها فيما يلي :

١ — أن يكون السجن مكانا لاستنباط أحسن الغرائز والميول عند المسجون حتى يخرج منه وهو يحب الهيئة الاجتماعية ويرضى بالتعاون معها فلا تمتلىء نفسه بروح الانتقام منها. ٢ — أن يعود عادات جديدة تحمله على التعاون وليس على التنازع مع الغير. ٣ — أن يعلم صنعة اذا لم يكن له حرفة يعيش منها. ٤ — ألا يعاقب الشاب اذا كان دون الحادية والعشرين باية عقوبة تؤدى الى سجنه الا في الحالات القصوى. ٥ — أن يعنى بالمسجون بعد خروجه من السجن عنــاية اللطف والرحمــة . ٦ — ألا يجلد مسجون الا في حالة اعتدائه على السجان.

هذه هي القواعــد التي يستضيء بها المصلحون للسجون . وامام البرلمان الانجليزي مشروع قانون ينطوي على هذه المبادىء قدمه السر صمويل هور وزير الداخلية . وأحسن مافيه هو عنايتــه بالاقلال جــدا من حبس الشبان لان الشاب الذي يستقبل الدنيا لايصح أن يستقبلها في سجن بل يجب ان تربيه الهيئة الاجتماعية أحسن ماعندها من خصال البر والرحمة والتعاون .

جماعة الفن والحرية

تألفت في القاهرة « جماعة الفن والحرية » للدفاع عما يسمى عنــد الدول الديكتاتورية « الفن المنحط » ومثال هذا الفن رسم تدمير جيرنيكا التي يراها القاريء في هذا العدد للرسام بيكاسو . والدول الديكتاتورية بما لها من السلطة الجامحة تجعل الفن في خدمتها وليس في خدمة الثقافة البشرية . واعضاء هذه الجماعة هم :

ابراهيم واسيلي — احمد فهمي — ادوار بولاك — ادوار ليڤي ـ ارمان انتيبي — البير اسرائيل — البير قصيري ـ القصاتي ـ الكسندرا ميتشكوفسكا ـ اميل سيمون ـ انجلو بيولو ـ انجلو دوريز ـ انور كامل ـ ايت هديدا ا. بولتيس ـ ل. جانتي ـ جرمين اسرائيل ـ جورج حنين ـ حسن صبحي ـ ح. رافو ـ زكريا العزوني « عضو نقابة الصامتين » ـ سامي رياض ـ سامي هونكا ـ سكاليت ـ عبد الخالق العزوني ـ فاطمه نعمة راشد ـ فؤاد كامل ـ كمال وليم ـ لوران ساليفس ـ مارسل بياجيني ـ مارسل نداـ مالانوس ـ محمد سيف الدين ـ محمد نور ـ نداف سيلر ـ هاميا ـ هنري دوماني

الفـــــــن الصينى

للاستاذ احمد راسم بك

ان فن التصوير يختلف كباقى الفنون من جهة أسلوبه وقواعده باختلاف الشعوب والمناطق التى يعيشون فيها . فانخفاض درجة الحرارة فى روسيا مثلا لها تأثيرها فى اخلاق اهليها ، ومن ثم فى اسلوبهم الفنى . ويظهر ذلك جليا فى منتجات هذا الشعب سواء اكانت تلك المنتجات فى عالم الادب او الفن ، الى حد ان الفرق بين الفن الروسى والفن الفرنسى مثلا ، يبدو واضحا بالرغم من قرب ثقافة هذين الشعبين .

ولما كانت الصين بعيدة عنا كل البعد فان من الطبيعى ان يكون فنها مخالفا للفن عندنا ولا يمكننا ان نتذوقه بدون ان نطرح جانبا جميع ما تلقيناه من قواعد فى الفن شرقية كانت او غربية

وانه ليكفى لاستطاعة تفهم الفن الصينى وتذوقه . عين ثاقبة ونفسية شفافة يكون صاحبها دقيق الحس ، حتى يستطيع ان يستقل بروح ذلك الفن ، والى جانب هذا رغبة صادقة تحملنا على اجنحة الخيال الى مواطن الجمال والغموض فيه — وهى المواطن البعيدة عن تفكيرنا المنطق — وان نتجه الى ذلك فى احترام وخشوع دون محاولة استجلاء ما يغلق علينا من اسراره الى ان تنكشف لنا من تلقاء نفسها .

على ان جميع من وصلوا الى هذه الحالة يعجزون عن ان يفسروا لنا تلك القوة التى جذبتهم الى ناحية هذا الفن ، وكيف تأثرت به نفوسهم على الرغم منهم وكيف مست اشعته الناحية الخفية من حواسهم .

وليس الفن الصينى من الفنون التى يمكن الوقوف على اسرارها من الكتب فحسب ، ولكنه





يتطلب استعدادا خاصا ووقتا لايمكن تحديده .

ولكي يكون هناك فكرة واضحة عنه ، نعود بالقارىء الى اوربا ، حيث نرى الاوربى اذا ما استوقفه منظر شجرة تنفرد عن جاراتها بجمال فى قوة ساقها مثلا ، وثبات فروعها التى تمتد ضاربة فى الهواء لتقاوم العواصف فى حين انها تستقبل اشعة الشمس ، ثم تتناثر ثمارها فى انسجام لتسمح للنور ان يداعبها . فاذا ما ارهف حسه لنوع من هذه الشجرة ، ناشز فى حجمه واتجاهه ، معلنا تمرده على الاوضاع المألوفة ، وممثلا شذوذ العبقرية — تراه يقف امام هذه الشجرة التى صادفت هوى من فنه وارضت روح الجمال فى نفسه ، فيرسم لها صورة حية تبين « شخصية » هذه الشجرة ومايراه فيها من عظمة او جمال تمتاز به من مثيلاتها ، ويجعلها نموذجا لجنسها . تراه يحلل دقائقها عن بعد ، ويتأملها بعين فاحصة وبفكر منظم ، ويأخذ فى رسمها بدقة واتقان مسجلا اجزاءها كما لو كانت ملامح انسان يجهد ان يسجل له خلقا جميلا وطلعة وسيمة وذلك دون ان يفوته ان يثبت ادق الظلال .

ولنتخيل بعد ذلك ان مر بهذه الشجرة فنان صينى ، ولنتمثل شأنه معها ، فماذا توحى به اليه من الهام ؟

انه يشعر أمامها قبل كل شىء براحة نفسانية وطمأنينة روحانية ترفعه الى عال ، فيستسلم الى عظمة الطبيعة وتتلاشى فيها شخصيته ، الى درجة لا يستطيع ان يبقى معها فى ساحة الفن ، فيسبح امام هذه الشجرة فى جو فلسفى غنى بالخيال تتلاحق فيه عظمة الكون وابدية فراغ تحوم فوقه الاطياف الرمزية وطهارة الارواح تحفها لذا ذات علوية هى ـــ نعيم الايمان — وهى حالة تتجرد فيها الروح من قيود المادة فتستطيع ان تنطلق الى احضان الطبيعة فتمتزج بكنهها . وهذه الفترة التى يتمكن فيها الفنان من ان يرى ويدرك مايخفى على سواه من اسرار الطبيعة ، فيستطيع ان يفهم لغة الرياح والسحاب وتموجات المياه ، هى الفترة التى تبوح له بسرها الاشجار والصخور والجبال والبحار وتعلن له عما يفعمها من جمال مكنون . هى الفترة التى ينشأ فيها الحب عنده تذكيه الرياح والامطار والعواطف والشمس والاشجار والازهار

من ذلك نرى بعد تعاليمنا عن هذه الحالة التى تتضاءل امامها دراساتنا . فاللوحة الصينية ماهى

الا صورة لذلك الشعور العلوى الذى تأثرت به نفس الفنان امام الطبيعة ، وهى فى الوقت نفسه الصلة الروحية التى تربطه بهواة فنه

ومن الحكم القديمة المأثورة ان القصيد هو رسم غير مسجل . كذلك يمكننا القول ان التصوير الصينى هو شعر غير مدون . فى الحق ان الصور التى خلفها لنا الفنـــانون الصينيون هى اشراك لاقتناص النفوس .

ولا يندم الاجنبى اذا جهد فى استجماع حواسه ، ليتفهم هذا الفن لأنه يكافأ عن ذلك يوماًبان تخلق فيه حاسة — كان يجهلها — تمكنه من الاتصال بكنه الاشياء وتبادل الصلات المعنوية

ذلك ان الانسان اذا اراد دراسة هذا الفن دراسة وافيـة ، مصورا كان او ناقدا وجب عليه ان يعيش فى تلك البلاد محوطا بتحفها وما ينبعث منها من اسرار يعجز اللفظ عن وصفها . ومما يؤيد هذا ماحدث فى شانجهاى سنة ١٠٣٥ عندما اوفد اليها اولو الأمر اربعة من اكبر اخصائى اوربا لينتقوا بالاشتراك مع بعض الاخصائيين الصينيين مجموعة من التحف تمثل الفن الصينى فى احد المعارض بلندن فانه لم يمض اسبوع على وصولهم ، حتى توترت العلاقات بينهم وبين الصينيين . وهذا امر مستغرب خصوصا ازاء ما هو معروف عن الصينى ـ فنانا كان او عالما ـ من هدوء الطبع والتواضع ، وانه يعد الأجنبى الذى يدرس لغته او فنه دائما يأتى جميلا يستحق عليه منه الشكر

فما الذى حدث اذن حتى يخرج الاخصائيون الصينيون عن طبعهم الهادىء فى ظرف كهذا ؟

لقد حدث ان جميع التحف التى وقع عليها اختيار الصينيين لم ترق عين زملائهم الافرنج الذين فضلوا عليها غيرها مما يعده الصينيون فى المرتبة الثانية من فنهم الى حد ان قام فى اذهانهم ان هؤلاء انما يقصدون النيل من فنهم باعراضهم عن انتخاب الجيد منه

ولما افهمهم بعض الأصدقاء ان الاخصائيين الافرنج لايحملون لهم اى قصد سىء دهش الصينيون من اصرارهم على اخذ ما انتقوه من التحف وتساءلوا ان كان هؤلاء قد وفدوا لتعليمهم فنونهم ولفت انظارهم الى ما يمتاز منها

ولكنهم سرعان ماتبينوا ان جهل الافرنج باسرار فنهم هو السبب الحقيقى فى كل ذلك . فما لبثوا ان كفوا عن مناقشتهم بل قدموا لهم اعتذاراتهم وزادوا عليها عبارات الشكر والثناء للاهتمام بفنهم

اهتماما جشمهم متاعب الحضور من بلادهم .

ولما كان من طبع الصيني ، التواضع من جهة ، والتمادي باخلاص في المحافظة على شعور الغير من جهة اخرى ، فلا يتوقع الاجنبي ان يكاشفه الصيني بمواطن الخطأ في نظرته للفن الصيني خشية جرح احساسه . بل انه لن يجد منه الا الثناء والمديح ، اعترافا بالجميل لتفضيله دراسة فنهم عن سواه من الفنون فاذا ما مرت السنون وشعر الفنان الصيني ان الاجنبي اصبح يستطيع ان يتفهم فنه ، كشف له عن القليل من ارائه — ولكن بأدب الصيني وتحفظه . فيبدأ في كيل المدح والثناء لمحدثه الاجنبي ، ثم تراه — من باب التواضع المعهود — يقلل في الوقت نفسه من معلوماته الخاصة ، بالنسبة للفنان الاجنبي الذي يجمع الى فنه الاصلي فنا اضافيا . ذلك انه يتناول بالتلميح موضوع الحديث الاصلي ، فاذا ما كان الحديث عن صورة لا تتلاقى فيها وجهتا نظرهما ، فانه يعرب عن تقديره لها بمدح نظائرها موجها النظر الى محاسن الاجزاء التي تفتقر اليها الصورة ، متجنبا بذلك توجيه النقد الصريح لتلك الاجزاء . وهو لا يرضى الا ان يحدث محدثه باسم ذوق فنه الذي لم تكونه ثقافة واحدة تاركا بذلك لمحدثه تقدير ما بداه من ملاحظات . هذا ولا يغرب عنا ان مثل ذلك الصيني يدرك تماما ان ذوق محدثه المكون من ثقافات مختلفة لا يكون بحال ، في صفاء فنان مستغرق في ثقافة واحدة .

ولا يمكن ان يولع الانسان بالفن الصيني ويعد هاويا يستطيع ان يستسيغ اسراره الا اذا عاش في وسط صيني يزخر بالتحف الصينية الثمينة لمدة طويلة ، حتى تتشبع روحه بجوها فتتكون في نفسه تلك الحساسية التي لا يمكنه ان يتذوق بغيرها هذا الفن المعطل ، ولا استكشاف ما يخفيه من جمال مرهوب

وشريف صبري باشا من الهواة النادرين في مصر الذين اولعوا بهذا الفن منذ عشرين عاما تقريبا وهو من ذلك العهد يدرس ويقتني التحف الثمينة التي يصادفها ، حتى اصبح اليوم مالكا لمجموعة منه تقدر بثلاثين او اربعين الفا من الجنيهات .

ومن الطريف من اسرار هذا الفن انه يطغى على نفسية صاحبه ، ولذلك نرى ان شريف صبري باشا . قد تطبع اليوم باخلاق الصينيين دون ان يشعر . فاذا ما كلمته في التحف التي يملكها تجده يحدثك عنها بتواضع كانه يجهل قيمتها الفنية ، على حين يعلم تماما انه صاحب مجموعة فريدة في العالم تبلغ قيمتها الافا والافا من الجنيهات .

بمبوش

قصة بقلم الأستاذ الكبير محمود بك تيمور

« فضلى بك » رجل أعزب من أرباب الأملاك ، له وجه محتقن مفضن ، ومشية صلبة ، يبلغ الستين من العمر ، ويعيش مع ابنه يحيى فى حى الحلمية . هو بطل من أبطال المقاهى ، له محل مختارق « قهوة الامتياز » يقصده عصر كل يوم يقضى فيه بضع ساعات مع رفاقه يتسامرون بلغو الحديث ، ويطالعون الجرائد ويشربون القهوة ، ثم يقومون إلى محال الخمر والقرب فيقضون فيها سهرتهم . وجماعة « فضلى بك » يعتبرون أنفسهم من السادة الأماجد ، فهم يشربون فى غير سكر ولا عربدة ، ويقامرون فى غير تهور ، ويضحكون ، ينكتون فى وقار ، ويسيرون متبخترين فى عظمة . وهم يكونون كتلة متحدة متضامة ، لا تتفرق إلا إذا انتهت السهرة وعاد أفرادها إلى منازلهم .

« ويحيى » الابن الوحيـــد « لفضلى بك » شاب يبلغ الخامسة والعشرين عادى المواهب ، موظف فى إحدى الوزارات ، ويعيش عيشة من فى سنه من الشبـــاب الميسورين ، له غرام خاص بالسيارات يشترى ويبدل فيها كل عام وفق هواه ، يحبه أبوه حبا كبيرا ويعطيه عن سعة ويلاحاب فخور به ، يرى فيه درة فريدة فى الذكاء والجمال والظرف ، وله حكايات عنـه لا ينضب لها معين ، يحرص على روايتها ، يقصها على أصدقائه ويعيدها عليهم فى حماسة كبيرة .

وليحيى كلب اسمه « بمبوش » هجين بين الكلاب الأصلية ، ولكنه لحسن حظه محبوب مدلل من سيده . يركبه معه السيارة فى تنزهاته ويطعمه من أكله ، ويعنى بنظافته عناية تفوق الوصف ، ويعد له مكانا خاصاً لنومه ؛ وكان الأب يكره الكلاب ، ولكنه إكراما لابنه قبل ذلك « الدعى »

فى منزله فى شىء من التقدير . وكان « محيى » يلاحظ أن أباه لا يحب « بمبوش » فيعتب عليـــه ، فيضطر الأب إلى ملاطفة الـكلب وتدليله !!

« » »

وحدث يوماً أن خرج « محيى » فى سيارته الجديدة مع ثلة من رفاقه لرياضة ليلية فى الضواحى وكان الجم سكارى ، ومحيى يقود السيارة بنفسه ، وتهور فى السير فاصطدم فى عمود من أعمدة الترام صدمة أودت بحياته وجرح رفاقه جراحا خطيرة .

، كانت فاجعة أليمة كادت تقضى على الاب ، فبكى ابنه طويلا وبالغ فى لبس السواد عليـــه ، واعتكف فى منزله لا يخرج منه إلا إلى المقبرة لزيارة ضريح ابنه . وكان يغالى فى الاحتفاظ بكل ما تركه محيى . فأبقى حجرته كما هى ، يأمر الخدم بتنظيفها وإقفالها ، فكأنه يعدها ليوم أوبته ، وعطف على «بمبوش » عطفاً كبيراً ، فـكان يطعمه بنفسه ويعتنى به ، ويقضى الســاعات الطويلة وهو فى صحبته ينظر إليه بعيون مبللة بالدموع ويقول له :

— لقد كنت حبيب ابنى يا « بمبوش » ، وحبيب ابنى حبيبى .

ويقبل على الـكلب يحتضنه ويقبله فى حنان كبير . والـكلب ينظر اليه فى حذر متعجباً .

ولم تمض أيام حتى نقـــل « فضلى بك » « بمبوش » إلى حجرته ، وأعد له فراشا وثيرا تحت سريره .

وشعر الرفاق بتفكك الـكتلة على أثر اعتزال « فضلى بك » « جماعة القهوة » ، فعز عليهم الامر ، وقصدوا إلى صديقهم يعتبون عليه هجره إياهم ، وأخذوا ينصحونه فى رفق وثبات أن يخرج من محبسه ، ويستعيد حياته السابقة معهم ، وكلمه أحدهم قائلا :

— لم قضيت على نفسك بهذه الحياة المؤلمة ؟ كل إنسان مصيـــره للموت ، والحى أفضل من الميت ، فهل تريد أن تقضى على نفسك ؟

فأجاب « فضلى بك » فى مرارة :

— لقد فقدت بفقد ابنى كل شىء فى الحياة .

فأجابه آخر :

— دع المرحوم جانبا ، إنه فى الجنة ونعيمها ، ولكن للحى حقوقا على نفسه ، فاتق الله فى أعمالك

وأتى « بعبوش » فى هذا الوقت وجعل يتمسح فى سيده ، فأخذه « فضلى بك » على ركبتيه وجعل يلاطفه فى حنان وقال :

— هذا هو رفيق وحدتى وأحزانى ، كلما رأيته تذكرت ابنى الغالى .... آه يا بعبوش كم كان يحبك يحيى !! وكم أحبك أنا اليوم !!

وتقـــدم صديق ثالث فأخذ الكلب من « فضلى بك » وأنزله على الارض ، وقال له فى حزم وإرادة :

— والله إلا رايح معانا القهوة النهارده !!!

وتألبت عليه الجماعة ؟ وأحاطته وهى تقول بصوت واحد :

— والله إلا رايح معانا القهوة النهارده !

وبدءوا يباسطونه الحديث ويداعبونه وهم يجذبونه يريدون إخراجه معهم ، وأخيرا انفرجت شفتا «فضلى بك» عن ابتسامة خفيفة ما كاد الإخوان يرونها حتى ضجوا بالهتاف ، واتسعت الابتسامة وازداد التهليل ... وأخيرا خرج «فضلى بك» مع إخوانه ، وهو مازال مترددا .

لم يطق «فضلى بك» أن يمكث فى القهوة أكثر من نصف ساعة عاد بعـــدها توا إلى منزله ، فاستقبله «بعبوش» بترحاب كبير . وأخذه فضلى بين يديه . وقال له فى ملاطفة :

— لاتظن يابعبوش أنى خرجت برضاى ، لاوالله ، إنهم أخرجونى عنوة ، ولكنى لم أمكث إلا قليلا إرضاء لهم ، وهاقد عدت إليك ، وأتيت لك معى بحلوى لذيذة جدا . أنظر .. الله ، ما ألذطعمها ، ومدله يده بالحلوى ، وأخذ يطعمه إياها وهو يقول :

— خذ ياحبيبى خذ . وكل بالهناء والشفاء .

وتكررت زيارة الرفاق لمنزل «فضلى بك » ، وتكرر خروجه معهم إلى القهوة ، ولانَ الرجل ، وقلت معارضته لهم ، وشعر فى صميم قلبه بشىء من الراحة ، واحس بأحزانه تتضاءل رويدا رويدا واعتقد حقيقة أن الحى حقوقا على نفسه يجب ألايهملها ، ومرت الايام ولم يعد يحتاج «فضلى» لزيارة خوانه له للخروج معهم إلى «القهوة » بل تشجع وخرج بنفسه واتصل بالكتلة من جديد وأندمج فيها

وعادت الحياة القديمة تزاحم الحياة الجديدة وتتغلب عليها تدريجيا .

وعندما كان «فضلى بك» يعود إلى منزله كان يعتريه ضيق ، وإذا خطرت على باله ذكرى ابنه ثار ساخطا ، ولكن لا يلبث حتى يستغرق فى وجوم غريب ، فيعنف نفسه ويبكتها ، ثم يأمر فى الحال أن يرسلوا الرحمة إلى «القرافة» على روح ابنه .

وإذا ما رأى « بمبوش » وقف أمامه ، وهو متكلف اللطف ، وقال له :

— يخيل لى أنك غير مسرور يا بمبوش ، عيناك تنطقان بذلك . ولكن لماذا ؟ ألا أطعمك من طعامى ؟ ألا أرقدك تحت سريرى ؟ ألا أحضر لك الحلوى دائما ؟ فم الشكاية يا ناكر الجميل ؟

ويمسك أذن الكلب يريد مداعبتها فيشدها شدا عنيفا ، ويصرخ الكلب ويجرى هاربا ، ويشمّ « فضلى » قائلا :

— حقا لقد أصبحت لا تحتمل ، لعنة الله عليك !

وكان « الفقى » يأتى كل صباح يقرأ ما تيسر من القرآن على روح المرحوم ، فتخيم على المنزل سحابة سوداء من الحزن . ويتراءى « لفضلى بك » — وصوت الشيخ يرن فى أذنه — شبح ابنه مضرجا بدمه ، ثم صورة نعشه المغطى بالحرير الأبيض والمزركش بالزهر ، وهو يتهادى بين المشيعين، فيقضى فترة الصبح وهو منكد يرزح تحت عبء ثقيل ، ويشعر كأن يدا ناشبة أظافرها فى رقبته تريد خنقه .

وفى يوم من الايام صدر الامر للفقيه أن يذهب الى « القرافة » ليقرأ الراتب اليومى هناك بدلا من قراءته فى المنزل . وظن « فضلى » انه سينعم بشىء من الراحة بعد اختفاء المقرىء ، ولكنه أخطأ فى التقدير . لقد كان يعيش فى دار كل ركن من أركانها محمل بشتى الذكريات المؤلمة عن ابنه . هذه حجرته المنظمة أشبه بقبر صامت رهيب . وهذا « الجراج » القائم بجوار الباب والذى تحول اليوم الى مخزن للمهملات ، الا يخيل « لفضلى بك » أنه يسمع منه فى هدأة الليل صوت بوق السيارة ، ذلك الصوت الممتاز الذى يشبه نباح الكلاب ، فيظن أن ابنه عائد الى الدار بعد انقضاء سهرته ؟!

لقد كان جو المنزل مشبعا برائحة الموت والفناء .

وصمم أخيرا على بيع منزله وسكنى مصر الجديدة بدعوى أن صحته مضمحلة وأن الاطباء

نصحوه بأن يسكن الجهات الجافة . وكان منزله الجديد « فيلا » لطيفة محوطة بحديقة جميلة وجد فيها ضالته المنشودة ، وبدأ يحس فيها بانقلاب فى نفسيته . فكل شىء يدعو الى البهجة والارتياح . ولكن يمبوش . ! إن مرآه يثير أعصابه . فليأخذ مكانه اذن فى الحديقة ، وليربط بعيدا بجانب مرقده . أليس هو إلا كلبا ؟ ! فما معنى أن يبقيه داخل منزله ، ويرقده تحت فراشه ؟ ليس فى ذلك ظلم عليه ، إن « كشكه » جميل ونظيف يحسده عليه أسعد الكلاب ، ووعاءه مملوء دائما بأشهى الاطعمة ، ماذا يطلب أكثر من ذلك ؟

وكان كلما خرج « فضلى » من الدار أو عاد إليه ، رأى الكلب قد أطل من كشكه وأخذ ينبح نباحا عاليا ، فيضطر أن يذهب اليه ويلاطفه ، وارتأى « فضلى » أن يغير طريقه الى الباب وأن يتسلل وهو خارج فى خطوات اللص الحذر ، ونجح فى حيلته ، فلم ينتبه لخروجه الكلب ، واطمأن الرجل لذلك ، وظن انه قد تخلص من مضايقاته له ، ولكن فى يوم من الايام ، بينما كان يفارق الدار وهو يلتفت يمنة ويسرة خشية أن ينتبه الكلب لوجوده ، سمع بغتة « يمبوش » وقد أخذته سورة الغضب ينبح نباحا حادا متواصلا فأحس « فضلى » بقدميه قد تسمرتا فى الارض ، وكأن غلا من الحديد يقيدهما . وتابع الكلب نباحه فى الحاح غريب كأنه يوبخ سيده على قلة عنايته به ، وهربه منه ؛ بل ربما كان هـذا النباح ينطوى على معنى من معانى الشتم والتقريع ، فغلى دم « فضلى » ، وهرول الى الكلب ، ورفسه رفسة شديدة جعلته يعوى عواء مرا . فـلم يأبه له « فضلى » وانطلق يسبه ، وينعته بأرذل النعوت ، ثم ترك المنزل وعواء الكلب يدوى فى أذنيه ، وقد أحس بأنه أصبح بعد هذه الفعلة حرا ، يدخل المنزل ويخرج منه فى أى وقت يشاء غير آبه بشىء فى الوجود . ولكنه ما كاد يسير الى منتصف الطريق حتى شعر بهم غريب يزدحم ويتكاثر فى قلبه، أسلمه إلى تفكير عميق ، فخفف من سيره وأزاح طربوشه الى الوراء ، وطأطأ رأسه.. ولم يلبث أن عاد إلى داره ، وذهب توا الى « يمبوش » يلاطفه ويقبله ويقول له :

— سامحنى يا يمبوش ، لقد أصبحت سيىء الاخلاق ، ولكنى أعدك أن أكون طيبا معك . !

وكان الكلب ينظر اليه فى ذلة وخوف ممزوجين بحذر ودهشه . وأمر « فضلى » أن يأتوا للكلب « ببسكويت » فى الحال وجعل يلقمه إياه واحدة بعد أخرى .

ومضت الأيام ، واستيقظ « فضلى » ليلة من النوم على نباح « بمبوش » فطار صوابه ونزل من فوره الى الحديقة يجرى وشعر رأسه منفوش ووجهه المغضن المحتقن قد تحول الى وجه حيوان مفترس ، بعيون كأنها الجمر المتقد ، وتناول فى طريقه هراوة ضخمة . وما إن رآه الكلب على هذه الحالة حتى فزع واختفى داخل كشكه ، ولكن « فضلى » شده إلى الخارج ، وهوى عليه بالضرب المبرح حتى حطمه تماما .

وعاد « فضلى » إلى حجرته واستلقى على فراشه ، ثم استغرق فى نوم عميق لم يستمتع بمثله فى حياته كلها . . . . ! !

الشيخوخة

يبلغ عدد المسنين الذين وافوا السبعين او تجاوزوها فى مصر ١٨٥٫٣٩٣ من الذكور و٢٢٤٫٧١٩ من الاناث حسب التعداد الاخير (١٩٢٧) لان تفاصيل نتيجة التعداد الذى اجرى فى عام ١٩٣٧ لم تخرج الى الان

وبذلك نقول ان جميع الذين بلغوا السبعين او تجاوزوها من الجنسين هم ٤١٠٫١١٢ وان الاناث الضعفاء يزيدون على الرجال الاقوياء بمقدار ٣٩٫٣٣٦

ولكن ليس قصدى هنا ان ابين ان هـذا الجنس الضعيف هو فى حقيقته الجنس القوى الذى يتحمل الامراض ويعيش ويعمر فى حين نذبل نحن ونموت قبل السبعين او بعـدها بقليـل . ولكن قصدى هنا ان اقترح اقتراحا لا بأس من ان يعـد خيالا فى الوقت الحاضر . وهو أن نؤدى لهؤلاء المسنين معاشا شهريا . فاذا فرضنا ان ربعهم يجدون وسائل العيش متوافرة فانه يبقى ثلاثة ارباعهم اى نحو ٣٠٠ الف رجل وامرأة . فاذا ادينا لكل منهم عشرين قرشا فى الشهر اى ما يكفى لثمن كيلتين من الذرة فان تكاليف الخزانة لن تزيد على ٦٠٫٠٠٠ جنيه فى الشهر اى ٧٢٠ الف جنيه فى السنة

وبهذا البر نؤدى واجب الاحترام للشيخوخة المصرية . ونستغنى عن تسعة اعشار الملاجىء ونسعف الشيوخ بالقليل من خبز الذرة ونزرع بذرة صالحة للتنظيم الاجتماعى

فهل يتحقق هذا الاقتراح او هذا من الخيال ؟

كيف احييت الميت

للدكتور عيسى نورى الله

كنت أتعاطى مهنة الطب فى مدينة البصرة من ايلول سنة ١٩٢١ إلى شباط سنة ١٩٢٨ . وفى يوم من أيام شهر آب سنة ١٩٢٦ أتانى عربى نجدى الاصل من أهالى الزبير اسمه ع . ع . يسكن فى أملاكه فى السراجة قرب البصرة ، ويبلغ من العمر ٥٥ سنة تقريبا . وهو متوسط القامة بدين الجسم يزن ٩٠ كيلو غراماً ، ويشكو من ألم فى خاصرته اليمنى ومن صداع ودوار خفيف مع بعض الاختلال فى النظر ، ومن تنمل فى أطراف الاصابع وإمساك دائم . ولدى معاينتى له وجدت انتفاخاً قليلا فى الاجفان والوجه والاطراف السفلى . وكان الضغط الدموى ١٢ — ١٨ بمقياس واكيز ، كما وجدت زلالا فى الادرار مع تفاعل حمضى شديد . إذن كنت أمام حالة مرض برايت مزمن مع تصلب فى الشرايين . وبعد أن أعطيته التعليمات اللازمة بتنظيم غذائه وما يجب أن يتناوله من الالبان والخضراوات وما يجب أن يمتنع عن تناوله ، فصدت مقدار ٥٠٠ سم من الوريد وأعطيته مسهلا شديدا مع وصفة مركبة من المدرات وقلويات وزابردين ومن مستحضرات اليود ، مع صندوق من المياه المعدنية المختلفة من فيشى وونيال و .. وأوصيته أن يراجعنى مرتين فى الاسبوع ، وبعد أن راجعنى ثلاث أو أربع مرات قل الزلال فى الادرار ونزل ضغط الدم ١٠ — ١٦ وتحسنت أحواله العمومية . فقد انقطع عن المعالجة مدة ثلاثة أشهر تقريبا .

• • •

وفى صباح أحد أيام الجمعة من شهر تشرين الثانى سنة ١٩٢٦ أتانى صهر المصاب فى سيارة تبدو علائم القلق والاضطراب على وجهه ، وقال لى إن عمه الذى كان يتعالج عندى سابقاً عندما قام

مبكراً كعادته للوضوء على شاطىء النهر الجارى قرب داره فى سراجه وقع على وجهه فجأة ، ولما كان واقفاً صدفة قريباً منه انتشله من النهر حالا ووجده قد فارق الحياة أو كاد . وأضاف قائلا : « لما كنا نعلم بأنك كنت تعالجه سابقاً وقد عرفت مرضه جئنا اليك سريعا فتعال يادكتور على عجل ، فلعلك تسعفه بعلاج إذا لم يكن قد فارق الحياة » .

لقد صادفت فى حياتى الطبية الماضية ودعيت مراراً لاسعاف حوادث الموت الفجائى الحاصل من السكتة القلبيةأو الدماغية . أما فى أثناء الحرب العامة فشاهدت مئات وألوفا من حالات الموت من أسباب مرضية مختلفة ، وكانت الاسعافات الطبية المعروفة التى كنا نقوم بها فى أحوال كهذه تذهب جميعها سدى . ولم أكن أعلم شيئا عن تأثير حقنة الادرينالين على القلب رأسا ، ولكن قبيل وقوع هذه الحادثة بأيام قلائل كنت قد قرأت مقالا فى مجلة بارى مديكال عن حوادث إعادة الحياة لبعض الاموات فى مستشفيات فرنسا ، وذلك بحقن الادرينالين فى عضلات القلب . فعليه لم أتردد فى وضع بعض أمبولات محلول الادرينالين فى علبة مع حقنة مناسبة وإبرة بلاتين طويلة مع أمبولات أخرى وأدوية وآلات ضرورية للاسعاف فى حالات كهذه . وأخذت السيارة تنهب بنا الأرض بسرعة فائقة ، حتى وصلنا الى قرية السراجة التى تبعد عن البصرة مسافة ١٥ — ٢٠ كيلومتراً ، وقد سمعنا قبل وصولنا الدار بيضع ثوان صراخا وعويلا يتصاعد من أفواه النساء اللواتى فزعن من حالة مريضهم ، ورأينا ازدحاما فى الدار . وحينما سمع الرجل الذى كان معى فى السيارة هذه الاصوات وأدرك الرعب المستولى على النساء التفت الى وقال : لقد قضى الامر يادكتور . فقلت له لا بأس . يجب أن أفحص عن المريض فحصا دقيقا ، وأنا كما تعلم عارف بمرضه السابق فلعلى أفيده بالمعالجة والاسعاف ! ! فقال لى : هيا يا دكتور !

• • •

عندما دخلت الدار وجدت جثة هامدة لا أثر فيها للتنفس ولا لنبضات القلب ، وكان الوجه محتقنا والحرارة منتشرة فى الجسم ، والعمل المنعكس مفقوداً فى الحدقات . ولدى استجواب عائلة المتوفى قالوا انهم كانوا قد لمسوا فيه تنفساً قليلا بعد الحادثة ، وقبيل وصولنا بدقيقة أو دقيقتين شهق شهقات متقطعة وأسلم الروح ، ففقد بذلك النطق والحركة تماما .

وبدون أن أضيع شيئا من الوقت وضعت الحقنة والابرة للتعقيم وباشرت إجراء التنفس

الاصطناعي وجر اللسان ، وحقنت تحت الثدي الايسر من بين الاضلاع ٥ سم من محلول الادرينالين في القلب ، وواليت إجراء التنفس الاصطناعي والتمسيد على القلب ، فلم تمض بضع ثوان على هذه العملية حتى شعرت ببدء التنفس ونبضات القلب ، وكم كان سروري عظيما لهذه النتيجة . فطلبت من الواقفين ان يسكتوا . وقلت لهم ها قد رجعت الحياة الى الميت. ثم زرقت امبولا من الاستروفانتين في الوريد ، ووضعت في فمه ملقطا لجر اللسان وداومت على التنفس الاصطناعي بلطف واهتمام وبدون انقطاع مع تمسيد على القلب ، فرجع الفعل الانعكاسي الى الحدقات وبدأ التنفس وأخذ القلب ينبض ببطء . ثم وضعت قناني حارة على أطراف الجسم وأجريت التمسيد العام الجسم ، فحدث احتقان شديد في الوجه والعيون . ولم أتردد في أن أفصد من الوريد المرفق لاخراج مقدار كيلوغرام ونصف من الدم . ثم اخذت الادرار بواسطة الوندا . وأجريت له حقنه كبيرة لتفريغ الامعاء ، مع إجراء الحقن تحت الجلدية من دهن الكافور والكافئين والاتير ، وذلك كل نصف ساعة حتى الساعة الرابعة بعد الظهر . ثم نقلنا المريض إلى السرير وأخذ تحريك أطرافه وتمكن من التقلب اليمين وذات اليسار دون أن يبس بنت شفة . ثم أخذ يجول ببصره فيما حوله بهدوء ويتنفس بسكون . وقمت بعدئذ بمعالجته مدة شهر تقريباً أعوده مرتين في النهار صباحا ومساء . وفي أثناء ذلك حضر ابنه الكبير من الهند وكان تاجرا معروفاً في اللؤلؤ . قام الرجل المريض بعد الحادثة بسبعة أيام على رجليه ، ولكنه لم يتكلم مطلقاً ، وقد نسي شخصيته نسياناً تاماً ، وفقد ذاكرته حتى أنه لم يكن يميز أهله وأولاده ، وكان دائم الابتسام لهم . فاستلم ولده الكبير الذي قدم من بومبي جميع أعمال أبيه . وقد عرضت هذه الحادثة على بعض إخواني من الاطباء وشاهدوا المريض واطلعوا على تفاصيل الواقعة ، وبقيت أزوره وألاحظ صحته مدة تزيد على السنة . ولما تركت البصرة في شباط عام ١٩٢٨ ، كان الرجل لايزال فاقد الذاكرة والنطق ، ولكن حالته جيدة .

لقد وقعت حوادث موت فجائي ودعيت لعدة حالات بعد ذلك التاريخ ، فلم تفد معها حقنة الادرينالين والاسعافات الاخرى ، وها قد مرت ١١ سنة على تلك الحادثة الغريبة في بابها .

إني أعتقد ان أهم شرط لنجاح حقن الادرينالين في القلب في حالات كهذه ، هي :

أولا — معرفة الطبيب حالة المريض السابقة .

ثانياً سرعة وصوله عقيب حصول الموت وإسعافه بدون هوادة أو تردد بحقنة الادرينالين في القلب

أمراض الشخصية

الشعور بالنقص أو عدم الكفاية

بقلم الدكتور أمير بقطر

الشخصية ما هي ؟ لنعالج هذا التعريف كما يعالجه الكيماوي : ضع في إناء من الزجاج كميات غير متساوية من الطباع ، والدوافع ، والنزعات ، والكفايات ، العقلية منها والجثمانية ، والصفات والميول والملامح ، وآداب الكلام والسلوك ، وسائر الصفات التي تكون الفرد ، وتميزه عن سواه من الأفراد . (ونقول « كميات غير متساوية » لأن هذه الكميات تختلف باختلاف الأفراد) . ضع الإناء فوق نار هادىء . ودع البخار ، المتصاعد منه بعد الغليان ، يتسرب إلى أنابيب زجاجية محكمة الاتصال بالإناء ، على الطريقة التي تستعمل في الاستقطار . وبعد تكاثف البخار وتجمعه في الإناء المعد له يعاد استقطاره بالطريقة المعروفة مثنى وثلاثا ورباعا ، إلى أن تحصل في نهاية الأمر على نوع من « الشمبانيا » — دنيء أو جيد — وهذا ما نسميه بالشخصية . فهي إذا بعبارة موجزة عصارة ، أو خلاصة جميع الصفات التي يتكون منها الفرد جسما ونفسا .

نقول إن بسمارك كان شخصية تدعو للاعجاب والاحترام ، ونقول أن لنكولن كان كذلك شخصية جديرة بالاعجاب والحب ، رغم أن صفات الأول كانت مغايرة لصفات الثاني كل المغايرة . فقد كان بسمارك رجل الحديد والدم ، رجل القوة والغلظة ، والجفاء ، والقسوة ، والبطش والسطوة ؛ في حين أن لنكولن كان رجل الوداعة والنبل ، والهوادة واللين ، والعطف وطول الأناة ، والرحمة وحب الانسانية .

وليست الشخصية كتلة جامدة ، أو كمية غير قابلة للتغيير ، فشخصية الطفل في الخامسة من عمره غيرها في الخامسة عشر ، والثلاثين ، والخمسين . وللوراثة أثرها في الشخصية ، بيد أن البيئة —

التربية وكل ما يتأثر به الفرد من مدرسة وحكومة ووالدين ومعلمين وأصدقاء ومناخ وطعام — لكل هذه أكبر أثر في تكوين الشخصية .

وللشخصية أمراض تنتابها ، كما تنتاب النبات والحيوان والانسان ، وجل هذه الامراض تتسرب جراثيمها في الصغر ، في سن الطفولة ، وفترة المراهقة على الاخص ، ولكنها قد تفتك بصاحبها في أية مرحلة من مراحل الحياة . ويطلق علماء النفس على هذه الامراض اسما غريبا ، غير مألوف ، كمعظم الاسماء التي يتخذها العلماء حجة لجعل مصطلحاتهم فنية ، وقد اختاروا لهذا المرض الوبيل كلمة complex ومعناها « مركب » وقد آثرت كلمة مرض على كلمة مركب خشية أن يهرب القارىء من الموضوع لغموض العنوان . ولست أريد من هذا البحث أن أتكلم عن جميع الامراض ، كداء العظمة ، وداء الضعة ، والمرض الجنسي (ما يتعلق بالعاطفة الجنسية) ، ولكني سأقصر البحث هنا عن داء الضعة ، أوما يسمونه بالانكليزية inferiority complex وهذا الداء عكس ما يسمونه داء العظمة . وقد ألقيناه منذ عامين محاضرة نشرت في « المجلة الجديدة » في مقال مسهب تحت عنوان جنون العظمة . والداء الذي خصصنا هذا المقال للكلام عنه من أخطر الامراض التي تفتك بالشخصية . ولما كانت المدرسة (كالأسرة) مسئولة عن هذا الداء في معظم الاحايين ، فانا نوجه المهيمنين على شئون التربية اليه أيضا .

• • •

ولعل أكثر العلماء تحدثا عن هذا المرض الفرد ادلر ، وقد توفى منذ عامين . وقد كان ادلر في الاصل من أتباع سيجموند فرويد ، وكان لكليهما فضل كبير على وطنهما فينا ؛ فقد ظلت زمنا طويلا كعبة يحج اليها المصابون بهذا المرض وغيره من الامراض النفسية ، حتى توفى ادلر ، وطرد فرويد مع من طرد من بني اسرائيل بعد دخول النازي النمسا ، وفرويد الآن شيخ هرم يناهز الثمانين ، ولا يزال مكبا على عمله في مغتربه الثاني في انجلترا . والفرق بين فرويد وادلر أن الاول يعزو جل سلوك الافراد إلى طبيعة العاطفة الجنسية فيهم — قوتها وكيفية توجيهها ، واختبارات صاحبها فيها منذ نعومة الاظفار . في حين أن الثاني ينسب جل السلوك الانساني إلى تلك الغريزة القوية الكامنة في الافراد التي يسميها « حب السيطرة أو السيادة » will power

وكان ادلر يعتقد أن ذلك المرض النفسانى الذى سميناه الشعور بالضعة أو النقص أو عدم الكفاية إنما يرجع إلى إضعاف الغريزة الموماً اليها ، أى حب السيادة . وكان يعتقد فى بادىء الأمر (سنة ١٩١٧) أن العيب الخلق أو الجثمانى ، سواء أكان هذا العيب حقيقياً أم وهمياً ، هو أهم العوامل التى يتسبب عنها هذا الاضعاف . فاذا ما أصيب الطفل فى صغره بعاهة مستديمة أو مؤقتة ، أو إذا خيل اليه بسبب ما أنه ضعيف السمع أو النظر ، أو بطىء الحركة ، أو دميم الخلقة ، أو قبيح الشعر ، أو قصير الساقين ، أو أنه دون أقرانه فى هيئته العامة سواء أكان هذا أمراً يتفق مع الواقع ، أم هو مجرد خيال ، شب مصابا بمرض الشخصية الذى أطلقنا عليه اسم الشعور بالنقص أو عدم الكفاية .

بيد ان ادلر فى سنة ١٩٢٨ توسع فى هذا المبدأ وقال أن كل عيب أو نقص يلاحظه الطفل فى نفسه أو يتخيله ، بدنياً كان أو عقلياً أو اجتماعياً ، يضعف غريزة حب السيطرة فيه ، ويسبب له مرض الشخصية ، عنوان مقالنا ويلاحظ الطفل هذه العيوب بالموازنة بين نفسه وأقرانه واخوته ووالديه وغير هؤلاء . ويجدر بنا هنا أن نستدرك القول بأن شعور الصغار (أو الكبار) بتفوق الغير عليهم فى لعب الكرة ، أو الجرى ، أو طول القامة ، أو حسن المنظر ، أو الكتابة على الآلة الكاتبة ، أو الانشاء — هذا الشعور أمر طبيعى عادى لا عيب فيه ، لأنه قد يكون الحافز للتحسين والتقدم واللحاق بالغير والمنافسة الشريفة . أما إذا كان هذا الشعور عاما ، أى أن الطفل أو البالغ يرى فى معظم الأحايين أنه دون أكثر زملائه ومعارفه فى أكثر ما تمتد اليه يداه من الأعمال ، أو ما يقوم به من الواجبات ، أو ما يمتاز به من الكفايات — إذا كان هذا هو الواقع ، فان صاحبه يكون مصاباً بهذا الداء الخبيث — داء الشعور بالنقص وعدم الكفاية ، ذلك الداء الذى يبلغ بصاحبه حالة اليأس ، ويستدعى كل عطف ، والمبادرة بالعلاج .

لا بد من أن تمر بكل فرد فترات يشعر فيها بأعراض هذا المرض ، وهذه الفترات تتباين طولا وقصرا بتباين الأفراد وطبائعهم وظروفهم وأحوالهم . فمن الناس من تكون فيه هذه الأعراض كنوبات البرد الخفيفة أو الزكام البسيط ، سرعان ما تظهر حتى تأخذ فى الزوال ، ومن الناس من تبدو عليه هذه الاعراض النفسية خفيفة فى بادىء الامر ، ثم تأخذ وطأتها فى الاشتداد ، ولا تزول إلا بأعجوبة ، ومن الناس من يتمكن فيه الداء وتستحكم حلقاته ويزمن ولا يمكن التخلص منه إلا

بالموت . وإذا راجعنا أقوال علماء النفس فى هذا الموضوع فإنا نجدهم يختلفون فى تقسيم هذه الاعراض إلا أنهم يتفقون فى جملتها . ويمكن أن يقال بوجه عام أنها لا تخرج عن كونها واحدة من اثنتين . فإما أن تظهر فى شكل الانزواء والابتعاد عن الغير (حياء وخوفا وخجلا واضطرابا وارتباكا) ، وإما أن تبدو بعكس ذلك فى شكل العنف ، والتدخل السريع ، وسهولة الاجتماع بالغير وحب الظهور — كل هذا إخفاء لتلك العيوب الخلقية أو الخلقية ، الحقيقية أو الوهمية . ولعل القارىء يعجب لاعراض القسم الثانى ، غير أنه قد يزول العجب إذا ذكر المثل العربى المعروف « كل ذى عاهة جبار » اذ كثيراً ما يكون العنف ، وشذوذ الطباع ، وحب الظهور والزهو والخيلاء التى يتصف بها بعض ذوى العاهات البدنية أو العيوب العقلية ، حجبا تغطى تلك العيوب ، ليس إلا .

ولنبدأ بالاعراض التى تأتى تحت القسم الاول وهى التى يحاول فيها المريض أن يتجنب الاتصال بالافراد أو الجماعات فى المجتمعات : —

(١) الشعور بالوجود الذاتى (self—consciousness) . ولا يخفى أن هذا الشعور نكبة على صاحبه فى كل ما يقدم عليه من الاعمال . فالرجل الذى يشعر بوجوده الذاتى وهو يخطب ، يتلعثم ، والذى يشعر بوجوده الذاتى وهو يرقص ، تزلق قدماه ، أو يدوس قدمى شريكه . والحشرة المعروفة باسم أم أربعة وأربعين ، أرادت مرة — على حد قول أحد علماء النفس — أن تشاهد كيف تسير ، أى أنها شعرت بوجودها الذاتى ، فتشابكت أقدامها ، والتوت ، وتقاطعت ، فانقلبت على ظهرها ولم تستطع القيام . وما ذلك إلا لأن العادة تجعل تأدية الاعمال مسألة تلقائية محضة (أوتوماتيـة) ، فإذا مازالت هذه التلقائية ، وشعر صاحبها بتفاصيل «العملية» قضى على ما نسميه المهارة والسرعة الطبيعية والارتجال فى تادية الاعمال ، وقضى نصف ساعة فى ربط «الكرافتة» كما يصنع الاطفال . ومن أعراض الشعور بالوجود الذاتى كثرة الارتباك فى حضرة الغير ، وخوف الظهور فى المجتمعات العامة أو الخطابة ومواجهة الجمهور بالكلام ، والانتقاد الذاتى ، والاكثار من مقارنة النفس بالغير

(٢) شعور الفرد أو توهمه بانه سيء الحظ ، أو منكود الطالع ، أو قليل البخت . والشخص الذى تبدأ عليه هذه الاعراض لا يفتأ أن يجاهر فى كل حين ، بمناسبة أو بغير مناسبة ، بانه سيء الحظ ، وأن الفشل مكتوب على جبينه . ومن الغريب أن هذا الشعور معروف بكثرة بين الاطفال وخصوصا

البنات . ومن الاعراض المعروفة من هذا النوع : هى التى تشكو فيها البنت من أنها بنت ، وتندب حظها لانها بنت ، وتتمنى منذ أن تستطيع الكلام فيما لو كانت ذكراً ، وتجاهر على مسمع من الجميع أنها لا ترى فائدة ما من أنها بنت . وقلما تجد ذكرا يتمنى لو كان بنتا ولكن العلماء ذكروا حالات قليلة من هذا النوع

(٣) سماجة الحركة (أو عدم التوازن) فى المناسبات الاجتماعية ، وهو ضرب من فقدان المهارة اللازمة لتادية آداب السلوك العادية ، كأن يتلعثم الرجل فى كلامه ، ويطرق برأسه وينكمش فى كرسيه أو يجلس على حافته إذا ما أراد أن يقوم بواجب اجتماعى صغير كقوله للزائر الكريم « شرفت ياسيدى » أو « تفضل لتناول فنجان من الشاى معى » . واذكر رواية سينمائية بديعة « الاخت البيضاء » منذ سنوات قليلة مضت كانت بطلتها ليليان جيش ظهر فيها شب مريض بهذا الداء . كاد يجلس إلى مائدة أمام من حاول أن يخطب يدها حتى أخذ يفأفئ ، ويتأتئ ، ويأتى بحركات بدنية غريبة تنبئ بعدم التوازن واشتداد أعراض هذا الداء . ... أن تضم القاهرة ... فى هذا الموقف . أو أن يكون رئيس مصلحة أو زعيم مصاب بهذا الداء .

(٤) حسد الغير . ويكون هذا الحسد مرضا إذا جاء أولا فى مناسبات كثيرة وثانيا إذا كان الباعث الحقيقى لهذا الحسد هو التخلص من المسئولية والهرب من تأدية الواجبات والتقدم والرقى

(٥) الجبن وعدم الاقدام وخشية الفشل فى كل مشروع جديد . وصاحب هذه الاعراض يؤثر الوقوف على السير فى طريق لم يألفه ، والقناعة بما هو عليه : على اتيان عمل لا عهد له به . ومثل هذا الشخص لا يعرف للمخاطرة أو المجازفة معنى ولا يمكن أن يكون مكتشفا ويندر أن يكون مخترعا لانه فى كل نواحى الحياة يقدم رجلا ويؤخر أخرى . وقد لا ينتقل من مكانه أبدا خشية أن تزل قدمه أو تسقط القنطرة

(٦) « جنون الكمال » ويسميه كونكلن Perfectionistic Behaviour وهذا أعراض المريض الذى يبالغ فى الحذر ويطلب فى الاتقان حباً فى كمال موهوم لا نهاية له . وقد ذكرت فى مقال آخر من هذا النوع حكاية أديب مضى عليه عشرون عاماً وكتابه معد للطبع ، ولكنه لا يريد إرساله المطبعة حتى يستبدل كلة بكلمة وعبارة بعبارة وقد مضى على هذه العملية حقبة طويلة من الدهر ولم يطبع الكتاب ، حبا فى ذلك الكمال الذى لا وجود له الا فى « ألف ليلة وليلة » . وهذا الاديب دقيق

فى كل شىء حتى النظافة . فهو لا يأكل بطيخة حتى يغسلها بيده (بعد الخادم) بالصابونة «والليفة» ولا يلبس سترة حتى يعيد تثبيت أزرارها مثنى وثلاثاً ورباعاً

أما فى القسم الثانى من هذه الاعراض فكما سبق القول فتبدو لاول وهلة انها على النقيض من الشعور بالنقص، لان صاحبها يظهر بثوب صناعى يخفى تحته ذلك الشعور ، ومن علاماتها ما يأتى

(١) حب الظهور (المصطنع) . وهنا يحاول المريض أن يكون فى المقدمة أو يتحدث بصوت عال حتى لا يسمع صوت الآخرين ، أو يكون عنيفاً فى حديثه متشامخاً فى سيره وعمله . أو يتأنق فى الملبس تأنقاً يسترعى الانظار ، باختيار الالوان الزاهية والاقمشة الاخاذة ، وقد يبالغ فى مغازلة الجنس الآخر — كل ذلك إخفاء لعيوب ظاهرة العيان فيه . وتلاميذ المدارس من هذا النوع كثيرون ، ويصعب جداً كبح جماحهم ويغلب فيهم الميل الى مشاكسة زملائهم من التلاميذ ومعلميهم ، وكما قلنا ينطبق عليهم المثل القائل « كل ذى عاهة جبار »

(٢) سرعة التأثر وشدة الحساسية فيما يتعلق بكل ما يمس المريض من مزاح أو كلام عام . فالمريض من هذا النوع يميل الى تأويل أقوال الغير الى ما يشعر بتحقيره والسخرية منه . فتجرح إحساساته لاقل كلمة ، ويحزن سراً أو يبكى جهراً ، أو يحتد غضبه فيكيل السب واللعن جزافاً ، وما هذا إلا لانه يشعر بالنقص أو عدم الكفاية فى ناحية من نواحى شخصيته . والدليل على هذا أن الثرى لا يضيره أن يمازحه صديق بعبارات تشير الى الفقر ، والوسيم لا يضيره أن يشير أحد الجالسين إلى القبح ، والمرأة حسنة الهندام لا يزعجها أن ينتقد أحد ملابسها . والاطفال منذ بدء عهدهم بالدراسة شديدو الحساسية من هذه الناحية ، وعلى القائمين بأمرهم أن يبعدوهم عن كل جو تنمو فيه جرثومة هذا الداء . فالاطفال الذين يشعرون بعيوب خلقية ، أو خلقية ، أو اجتماعية (كفقر الوالدين وإجرامهم أو نبذهم من المجتمع) عرضة لتحقير زملائهم ، ومعلميهم أحياناً للاسف .

(٣) محاولة عنيفة (قد تكون فاشلة أو ناجحة بعض النجاح) للتفوق فى ناحية من نواحى النشاط ، كالرسم والايقاع على آلات الموسيقى والغناء ونظم الشعر وممارسة الالعاب الرياضية والتجارة الخ ، بشرط أن يكون الباعث على هذه كلها مداراة عيب من العيوب التى تكلمنا عنها .

(٤) كثيراً ما يظهر على الفرد المرض أو الضعف الجثمانى فى حين ان الطبيب لا يستطيع أن يجد

أثرا لهذا المرض أوهذا الضعف ، وكثيرا ما يكون الحافز لهذا الداء الميل الى اخفاء نقص فى الكفاية أو عيب ذهنى أو بدنى . ويبدأ المصاب بهذا الداء النفسانى وهو يعلم انه يتصنع المرض أو الضعف غير أنه يتمادى فى هذا التصنع الى ان يتوهم انه مريض او ضعيف حقا

* * *

واذا ما تحدثنا عن اسباب هذا المرض ، فان اول ما هو جدير بالذكر هو عدم العناية بالوالدين والمعلمين بتجنب كل ما يأتى عنه تحقير الاطفال ، او الازدراء بهم ، او السخرية منهم ، او التحدث همسا عن عيوبهم او فقر والديهم ، او تهيئة الجو الذى يدعو الى الموازنة بينهم وبين نظرائهم . ويحدث للاسف احيانا ان الطفل بطبيعته هو الذى يضع نفسه فى كفة وغيره من نظرائه (حقيقة او وهما) فى كفة . وقد تكون الموازنة امرا بعيدا عن الواقع او المعقول ، كأن يوازن الطفل بينه وبين غير نظرائه واقرانه .

غير ان العيوب الجثمانية ، وخصوصا العاهات المستديمة ، والنقائص العقلية والاجتماعية ، هى اهم أسباب هـذا المرض ، أو الشعور بالنقص وعدم الكفاية ، ولا غرابة فى ذلك فان حياة الطفل كلها حركة ، وعالمه كله نشاط ، ودنياه جرى ، وقفز ، ولعب ، وعمل ، وتسلق ، وكل ما يأتيه الفرد من حركة ، سواء أكان منفردا أم مع الجماعة . فاذا ما آنس الطفل (أو البالغ) فى ذاته العجز عن القيام بهذه كلها أو عديم الكفاية ، معيباً ، او دون افراد الجماعة منزلة . ومن الغريب ان ادلر واتباعه يعتقدون ان الطفل قد يوازن بين نفسه ووالديه ، فيجد نفسه امامهما ضعيفاً ، فاذا لم يسارع القائمون بأمره برده الى صوابه ، شب مريضا بهذا الداء .

وخليق بنا أن نذكر هنا أن الطفل إذا بلغ ضعفه العقلى درجة فى مصاف البله أو السفهاء (وهم من يغبنون فى المعاملات) والمعتوهين — هذا الطفل لا يستطيع الموازنة بينه وبين غيره ، لأنه يقرب من الحيوان ، ولذا فانه لا يعقل أن يصاب بهذا المرض . ولكن مما يؤسف له أن الطفل ، متوسط الذكاء ، كثيراً ما يوجد فى بيئة من الأطفال شديدى الذكاء ، فيدفعه التنافس فى بادىء الأمر الى مضاعفة الجهد . ولكنه لا يلبث أن يجد الفرق بينه وإياهم عظيما ، ويوقن أن التنافس من العبث ، والجهد لا يجدى نفعاً ، فتهبط عزائمه ، ويقع فريسة الداء .

ومن العيوب الخلقيـة التى تتسبب عن المرض ، الفأفأة ، والتأتأة ، واللكنة ، والتكلف غير المقصود فى الكلام والحركة ، والميل إلى عدم الاناقة فى الملبس كتلويث الثياب ، أو قطعهـا ، أو لبسها رغم ما تفتقر اليه من رتق أو خياطة أو إصلاح ، أو وضع أزرار . والطفل الذى يكون من هذا النوع ، ويوجد فى غير البيئة الملائمة ، يكون عرضة للسخرية والمزاح حتى من أهله . وأذكر أن شاباً حضر إلى متذ شهور قليلة ليستشيرنى فى أمر أخته البالغة ثمانى سنوات ، وكانت كثيرة اللكنة ، وقد اتضح لى بعد عدة أسئلة أن الهزء بهذه الطفلة المسكينة لم يكن مقصورا على اخوتها الصغار ، بل على جميع أشقائها وشقيقاتها ووالديها وأصدقائهم وزائريهم . وكيف لا تتوقع فى مثل هذه الحالة أن يصاب الطفل بأشد أمراض الشخصية ؟ .

ونجد من الوالدين من هم على النقيض من هذه الحالة تماماً . اعنى بأولئك الذين يغالون فى العناية بأطفالهم ورعايتهم والحنو عليهم حنواً يفوق العقل والمنطق . أطفال هؤلاء يكونون عادة عالة على غيرهم ، لا يعرفون للاستقلال والاعتماد على الذات معنى . ومثل هؤلاء هم اولئك الذين يطالبهم والدوهم بما لاطاقة على البشر احتماله . اولئك الوالدون ينظرون من اولادهم الكمال فى كل ما يأتونه من الاعمال ، وينتظرون منهم من الناحية الخلقية أن يكونوا ملائكة أطهاراً ، فلا يتركون هفوة إلا ويحاولون إرهاق أبنائهم وبناتهم بما لا يستطيع إنسان إتيانه . هؤلاء يتطلبون فى الماء جذوة نار ، والنتيجة التى لابد منها هو فشل بعد فشل ، يشعر بعده الطفل بنقص أو عدم كفاية .

ويمكن تلخيص الاسباب الآنفة الذكر فى عبارة واحدة وهو أن هذا الشعور بالنقص inferiority complex ينشأ عن شعور حقيق أو موهوم بعدم المقدرة على إتيان أمر يخيل إلى صاحبه انه مرغوب فيه . ومن المهم أن يبدأ تشخيص المرض بإيجاد السبب الاصيل والوقوف على ما يعتقده الطفل أو ما يتوهمه بغض النظر عن الواقع . والعلاج عديم النفع بغير العثور على هذا السبب .

(٥)

وليس ثمة من داء ينطبق عليه المثـل القائل « درهم وقاية خير من قنطار علاج » كمرض الشخصية . ولذا فاننا اذا ذكرنا العلاج فان أول ما توجه اليه الانظار هو الوقاية وتجنب كل ما يحتمل أن يكون وسيلة لسقوط الطفل فى الحفرة . والطفل وديعة فى أيدى الوالدين والمعلمين والمربيات ،

ومن أول الواجبات العناية بهذه الوظيفة . بيد أننا نذكر هنا ملحوظات موجزة عن علاج هذا المرض ، رغم الاعتراف بأن هذا العلاج محفوف بالمخاطر والاشواك : —

(١) يبحث أولا إذا كان سبب الشعور بالنقص أو عدم الكفاية مصدره واقعي أو وهمي لان لكل منها علاجاً خاصاً .

(٢) إذا كانت حالة الطفل الجثمانية لا تساعده على اللعب مع زملائه فمن الواجب إيجاد ما يسد هذا النقص فيه في ناحية أخرى وبوجه اهتمامه إلى طريق آخر من طرق التسلية ترتاح اليها نفسه.

(٣) ينبغي تضافر جميع أفراد الاسرة والاصدقاء في الوصول الى هذه النتيجة

(٤) ولا يقصد بهذا أن يبالغ في العطف على الطفل أو تدليله . وانما على النقيض من ذلك يجب أن تكون علاقاتنا به لا تخرج عن المألوف .

(٥) أن أكبر خدمة يؤديها أفراد الاسرة للطفل المومأ اليه هو اشتراكهم معه في ناحية من نواحي النشاط التي تمكنه حالته البدنية من الدخول فيها .

(٦) سواء أكان السبب بدنياً أم عقلياً أم اجتماعياً ، فانه يحتم أن نتجنب كل تنافس لا يرجى فيه للطفل نصيب من النجاح .

(٧) أما إذا كان سبب المرض (الشعور بالنقص أو عدم الكفاية) خيالياً أو وهمياً ، فيكون العلاج على غاية من الصعوبة . وأول خطوة يجب اتباعها هي توطيد دعائم الثقة بالطفل ، ومعنى ذلك اننا نظهر له ثقتنا فيه ، ولا نبين له ما يشتم منه ضياع شيء من هذه الثقة .

(٨) ومتى رسخت هذه الثقة ، أخذ هو في توطيد الثقة بنفسه

(٩) ومن الوسائل التي يكتسب بها الطفل هذه الثقة هو إطراء ما يأتيه من الأعمال أو كل محاولة يستدل منها أنه يبذل بعض الجهد في أية ناحية من نواحي النشاط

(١٠) ينبغي أن تتجنب المديح الكاذب أو الاطراء البعيد عن الاخلاص

(١١) يلزم عند تهيئة نواحي النشاط ان تبدأ بالسهل منها ، حتى نضمن نجاحه فيها لأن هذا النجاح يولد فيه الثقة بنفسه . ومتى أنسنا فيه هذه الثقة نزيد النشاط صعوبة بالتدريج .

(١٢) المسألة الهامة التي لا ينبغي أن تغيب عن بالنا في العلاج ، هي وجوب تهيئة النواحي التي

يكلل فيها نشاط الطفل بالنجاح ، والتى نتأكد أنها تتفق ومقدرته على بلوغ ذلك النجاح . وذلك لأن سر العلاج هو أن يدرك الطفل أن له من الكفاية والمقدرة ما يؤهله للنجاح فى بعض نواحى النشاط أو بتعبير آخر أن علاج هذا النوع من أمراض الشخصية هو الوثوق بالنفس .

• • •

ولما كانت العيوب الجثمانية ، خصوصاً المستديمة منها ، هى فى مقدمة العوامل التى يتسبب عنها الشعور بالنقص أو عدم الكفاية ، ولما كان هذا المرض يبدأ عادة فى سن الطفولة ، فاننا نرى أن نختم هذا المقال بكلمة موجزة إرشاداً للوالدين والمعلمين :

يخطىء المهيمنون على تربية الطفل المصاب بعاهة بدنية فى احد أمرين (١) فاما أن يعيره الوالدون أو الاخوة أو الاصدقاء ، ولو بحسن نية : أو بغير قصد ، أو لمجرد المزاح ، كأن ينادونه بقولهم : ياعدو الشمس ويا أعرج ، ويا أعمى ، ويا أقطع ، ويا أعور ، ويا أطرش ويا أسيل ، ويا أقرع ويا أبا الليل ، أو «سمبو» (إذا كان قاتم اللون) و (٢) إما أن يكونوا على النقيض من ذلك . أى أنهم يبالغون فى المحافظة على ما يجرح احساسه . ويطنبون فى العطف عليه . ويسرفون فى العناية به ظناً منهم أنه عاجز جدير بالرحمة والحنان والعون . وإذا ما أراد تسلق حائط أو عربة . ولو لمجرد اللعب حملوه بأيديهم . وشفعوا ذلك بكلمة أو عبارة أو إشارة . كلها عطف ورنين حزن وتأوه أحياناً . وإذا ماحاول إتيان عمل فعجز بسبب عاهة ما . هرع ذووه لمساعدته والأسف على ماحدث . وكأنه أشرف على الموت فبادروا لانقاذه .

كل من هؤلاء مخطىء كل الخطأ فى معاملة هذا الطفل المسكين وكان الأجدر بهم أن ينظروا اليه نظرتهم الى الطفل العادى حتى لايحس بإنه ليس كسائر الأطفال فتتولد فيه هذه العلة . وتلك الضعة التى تلازمه كل حياته ملازمة الظل للأصل . وهذه مسألة عملية واقعية نتخذها مثالا لنا تقول طفل فى الثامنة من عمره أقطع الساعد الى مافوق الفخذ . يتوكأ على عكاز . حاول الصعود فوق سلم فزلت قدمه . ووقع على الارض . ووقع عكازه . فماذا تقول الأم وماذا تعمل ؟ الجواب يختلف باختلاف الامهات ، وهذا مايحتمل أن يكون :—

(١) تضحك ملء شدقيها وتناديه يا أعرج ...

(٢) تعتد غاضبة وتقول يا أعرج . ياقليل الحيلة

(٣) تهرع اليه تحمله بين يديها ، رغم أنه لم يصبه أذى ، وفى صوتها وكلامها رنين الأسف والحزن وشدة العطف . وهى تردد قولها « ولدى » « كبدى » ..

(٤) تسرع لمساعدته وهى تجهش فى البكاء

(٥) تتجاهل وقوعه ولاتعلق عليه أهميته ولكنها تنتهز الفرص المناسبة من آن إلى آخر لنصحه وارشاده فى حزم ، بين الاعتدال والشدة : كأن تقول له «أعلم انك كسائر الأطفال . قوى سليم البنية . ذكى . تستطيع أن تجرى وتقفز وتلعب . وليس ثمة مايعوقك عن اللحاق بأقرانك.» (هذا مع مراعاة ماقلناه فى غير هذا المكان من هذا المقال من أنه لايجوز وضع مثل هـذا الطفل فى بيئات وأحوال يكون نصيبه فيها الفشل فى معظم الأحيان) والخطة الأخيرة هى بالطبع المثلى

ونعرف رجلا فاضلا أقطع يستطيع أن يقوم بكل مايقوم به الرجل العادى من السير السريع وصعود السلم وركوب الدراجات والسيارات وقيادتها ، والسباحة ولعب التنس ، وقد أتقن الأخيرة رغم عكازه حتى أنه يفوق فيها جميع أصدقائه وعارفيه . ولايعوزه الرقص والزلق على الجليد . ولا غرابة اذا كان قوى الشخصية . لا أثر فيه لذلك المرض الذى ينتاب عادة أمثاله . فيظهرون اما بمظهر النفخة الكاذبة . والعنف الشديد . اخفاء لذلك العيب . أو يتوارون عن الأنظار حياء وخجلا . لشعورهم النقص أو عدم الكفاية





عندما اكبر ..



الان هدأ البيت ..

قيمة البيت والاسرة

عند الفرد والدولة والامة

للاستاذ سلامه موسى

تتوقف الشخصية على اعتبارات كثيرة ربما كان اهمها الحرفة التى يحترفها الانسان والاسرة التى يكونها . فان الحرفة تشعره بقدرته وفائدته وتبعث فيه الرغبة فى الرقى والاستزادة والتعلم وهذا كله يقوى شخصيته وينميها . وكذلك الاسرة تشعره بمسئوليته ازاء زوجته واولاده . وهو حين يعاشر زوجته يجد نفسه مضطرا الى الاشتراك معها فى العمل والتدبير والتفكير فهو يأخذ ويعطى . وهو سيد وخادم معا . عليه عهد وله عهد . ثم هو ازاء الاولاد يجد نفسه مسئولا عن العناية بهم فى الوقت الحاضر وعن تهيئتهم للمستقبل . فالاسرة تجعله عضوا عمليا فى الهيئة الاجتماعية وتستنبط منه أحسن الاخلاق واسمى الفضائل . وهى — أى الاسرة — تعد من هذه الناحية الاساس الحسن للهيئة الاجتماعية السامية كما هى المكان او البيئة الملائمة لتربية الشخصية

والمألوف عند الناس ان الاباء يربون اولادهم . وهم يقفون عند هذه الظاهرة لا يتجاوزونها الى ماهو اعمق منها . وذلك ان الاولاد يربون اباءهم . فان الاب او الام عند مايعالج احدهما ابنه ويساعده على النمو والتفتح انما هو ينمو ايضاً ويتفتح ان لم يكن بجسمه فبذهنه وشخصيته . والفرق بين رجل قد بلغ الاربعين وعرف الاسرة زوجة واولادا وعانى صعوباتها وحظى بافراحها وآخر لم يعرفها هو فرق بين رجل له شخصية مدربة ممتحنة وآخر ليس له شخصية او له القليل الغشيم منها . او هو الفرق بين رجل عاش ملء حياته فى حظوظ مختلفة وبين آخر عاش أدون الحياة واقلها خصوبة

والمتأمل للطبيعة يجد ان غاية الحياة ليست الفرد فى ذاته سواء فى هذا الحيوان والانسان . وانما هى النسل أى هى الاسرة ولذلك فان تمام الشخصية الانسانية يتوقف على تمام الاسرة . لان الاسرة تستحث كفاءاتها وتستنبط احسن ما فى خصالها . وكتب التاريخ تذكر لنا التضحية من

اجل الوطن كأنها بطولة نادرة تستحق الثناء . ولكن هذه الكتب لا تذكر لنا ملايين الاباء والامهات الذين يضحون بانفسهم من اجل اولادهم لان هذه التضحية تجرى فى طبيعة الاشياء كأن ليس فيها شىء غريب

ولكن اذا كانت الاسرة تكون شخصيتنا او تضخمها وتنميها فانها هى نفسها الامتداد لشخصيتنا . ونحن حين ندخل بيتا وننظر إلى الاثاث والاولاد والادوات والصور والنظام العام نشعر ان كل هذه الاشياء هى بعض هذه الشخصية شخصية الابوين او شخصية أحدهما . ونقول احدهما لأن الام فى مثل بيئتنا يكون أثرها فى الغالب سلبيا

وأحسن ما يمكن ذا الذهن السليم ان يطمع فيه هو الاسرة السعيدة. وهو حين يجعل هذا المطمع غايته ، حتى وهو أعزب يصبح عضوا حسنا فى الهيئة الاجتماعية يعمل فيها للخير والسلام ويطلب الفضيلة والبر . والاجتماع الحسن فى أمة ما هو المؤلف من الاسر الحسنة أى الاسر التى يؤدى نظام الدولة وقوانينها الى تماسكها وهذا يعنى فى النهاية ان تسبغ على الزواج حرمة تكاد تشبه القداسة حتى لايقدم عليه احد من الجنسين الا وهو يشعر بفداحة المسئولية الجديدة . ويتهيأ لها ويعنى بفضائلها . كما ان الدولة — حين تعرف قيمة الأسرة فى أشعار الزوجين بالمسئولية — يجب أن تبذل أقصى مجهوداتها لتقوية هذا البناء ودعمه كلما خشيت فيه تصدعا . ولما كان البيت هو الصدفة التى تعيش فيه الاسرة فانه يجب على الحكومة ان تساعد على بنائها وتجعل هذا خطة لا تنكف عنها لكى تكثر البيوت الحسنة . بل يجب ان تشجع الناس على شراء البيوت لكى يسكنوا فيها مالكين غير مستأجرين . فأن الرجل الذى يملك بيتا حسنا قل ان يفكر فى جريمة بل هو اقل الناس غشيانا لأماكن اللهو . ومن هنا كانت القوانين العديدة التى تجعل البيت حرما لا يجوز للدائن ايقاع الحجز عليه لسداد الدين او بيعه . ومن هنا ايضا كانت ملايين الجنيهات التى تنفقها الحكومات على بناء البيوت واداء المعونات المالية الضخمة لشركات البناء حتى تبيع البيوت بأرخص الاثمان وبالاقساط الصغيرة فى الآجال الطويلة بل من هنا كانت الامتيازات العديدة للاسرة فى الضرائب وأجور السكك الحديدية والتعليم ونحو ذلك

الاسرة هى اسمى مخترعات الطبيعة فيجب ايضا ان تكون اسمى مطامع الحضارة

واذا اعتبرنا أن وقوع الجريمة برهانا على التنافر بين المجرم وبين الهيئة الاجتماعية ، وإذا لم ننس أن الجريمة تؤدى الى السجن وأحيانا الى الشنق وهى قبل ذلك تحدث الاذى لاحد الناس ، جاز لنا أن نقول ان الامم الاوروبية أسعد حالا منا لأن جرائمهم أقل من جرائمنا ولان عدد الذين يشنقون فى كل عام فى مصر يزيد على عدد من يشنق فى انجلترا وهولندا ودنمركا واسوج ونروج مع أن السكان هناك يقاربون ستين مليونا ونحن لا نزيد على ١٦ مليونا . والجريمة هى فورة الشقاء وعلامة التوتر النفسى ودونها سخط وقبل وقوعها كراهية ومقت وخصومة مضمرة بين المجرم وبين الهيئة الاجتماعية . فكثرة الجرائم عندنا وكثرة المجرمين الذين تتناولهم كل عام بالشنق تشهدان باننا لسنا أمة سعيدة . والحبس والسجن والاعدام — كل هذا قد يعد من العلاجات السلبية للجريمة ولكن العلاجات الايجابية أو الوقاية الايجابية لا وجود لها فى مصر . وهذه العلاجات السلبية لا تزيدنا سعادة بل تزيدنا شقاء ، ولذلك يجب أن نفكر فى الوقاية الايجابية من الجريمة . وليس شك فى اننا حين نفعل ذلك نزيد سعادة الامة أى سعادة الفرد

* * * *

وحين نفكر فى وفرة الشقاء فى بلادنا وفى وفرة السعادة فى الامم الاوروبية ترد على ذهننا خواطر كثيرة قد يكون فى أولها هذا الحرمان القاسى الذى يعانيه تسعة أعشار الامه الذين كتب عليهم أن يعيشوا طول حياتهم وهم لا يأكلون غير الذرة . ولكن الذهن يطرد هذا الخاطر لصعوبة هذه المعضلة ولما تبعث من عواطف هى مؤلمة وعقيمة معا إذ ان التفكير فى هذا الحرمان لن يؤدى الى أية نتيجة مفيدة فى الوقت الحاضر . ولكن هناك ما هو دون ذلك من المسائل التى يمكن أن نفكر فى علاجها وان كنا عند التعمق نجد ان الحرمان هو الاساس لكل شقاء فى مصر : للجريمة وللمرض وللجهل وللخسة الاخلاقية وللتفكك بين أعضاء الاسرة . وللقبح العام لبيوتنا وللنفور من هذه البيوت الخ.

الاسرة والبيت هو ما ينبغى بحثهما وان كنا نحتاج إلى أن نتعامى عن هذا الاعتبار الخطير السابق .

* * *

والامم الاوربية أكثر سعادة منا للاسرة والبيت

فالاسرة هناك يرتبط أعضاؤها ارتباطا وثيقا . ومع ان الحرية قد استفاضت فى كل شىء تقريبا

فهى مقيدة كثيرة الاغلال بين الزوجين . حتى روسيا الاشتراكية مازالت تجعل الطلاق عسيرا جدا والامم الجنوبية فى أوربا تكاد تجعله مستحيلا . وليس شك فى ان الغلو فى هذه القيود يضر . ولكن يجب ان نذكر ان كل طلاق انما هو افلاس للاسرة وانه قد يؤدى الى تشتيت أعضائها كما يحرم الابناء من الرابطة الابوية ومن المثال الحسن بين زوجين متحابين . فهل يعسر على قادتنا ان يجدوا السبيل الى معالجة هذا التفكك فى أسرتنا المصرية ؟

ان الشاب الذى ينشأ منذ الصغر وهو لا يتمتع بالالفة بينه وبين أبويه واخوته يجد ان ارتباطه بالهيئة الاجتماعية متفكك وان مسئوليته نحوها ليست عميقة فى نفسه . لان هـــذه المسئولية تنبت أصولها وتنمو فى الاسرة . ويحسن المشتغلون بتحقيق الجرائم فى مصر لو انهم عنوا بتسجيل الحال التى نشأ فيها المجرم وهو صغير : هل كان فى أسرة قد شتتها الطلاق أم عاش بين أبوين واخوة متحابين حيث يتعاون الجميع على العيش وحيث لا يعرف النزاع والكراهية مكانا بينهم ؟

ان من البعيد جدا ان يجرؤ رجل أو شاب أو امرأة أو فتاة على الاجرام اذا كانوا مرتبطين بالحب لان هذا الارتباط يجعل شعورهم بالمسئولية أو المقام الاجتماعى مرتفعا . وهذا بخلاف الفرد الذى انقطعت روابطه مع اعضاء اسرته . فلنفكر كثيرا فى هذا الموضوع ولنتجرأ على التفكير

« • »

يرى القارىء أننا نجعل مقدارا الشعور بالمسئولية أساسا للسلام فى الهيئة الاجتماعية وعامل الوقاية من الجريمة وسبيل السعادة للفرد والامة . فالرجل الذى يرتبط بزوجته وأولاده ويجد هـذا الرباط وثيقـا يرفض أن يتهـاون فى أخلاقه ويخشى الخسة فى الاخلاق كما يخشى الوقوع فى الجريمة لانه يحب أسرته فيتعلق بأفرادها

وعلى هذا القياس ايضا يجب أن نجعل البيت أساسا لزيادة الشعور بالمسئولية فالرجل الذى يملك بيتا حسنا يتعلق به . وهو لاتصاله الشخصى به كل يوم ينظر اليه كانه امتداد الشخصية . وليس البيت عقاراً مملوكا مثل أى عقار آخر لاننا يسهل أن نبيع العقار البعيد ويشق علينا أن نبيع بيتنا الذى عشنا فيه مع أن الاول قد يكون أعلى فى قيمته المالية . وذلك لان الثانى قيمة شخصية .

ومن الحسن للهيئة الاجتماعية ومما يزيد السعادة فى الامة وينقص الجرائم أن يكون لكل أسرة

بيت تملكه وتعيش فيه وترثه أبا عن جد حتى ينطبع كل مكان فى البيت بأثر أفراده . فهنا ولد هذا الصغير . وهناك فى الغرفة الاخرى ماتت الجدة . وفى غرفة ثالثة كان العرس . فأن مثل هذه الحوادث هى تاريخ له قيمته العظيمة وهى أحرى بأن تكسب البيت تقاليد كأنه دولة صغيرة لها شعائرها السياسية والاجتماعية والدينية

ولو ان ما ننفقه على منع الجرائم وتعيين الخفراء وحبس المجرمين وشنقهم كنا ننفق مثله على تأسيس البيوت أو تشجيع الناس على بنائها وامتلاكها والتأنق فى تزيينها لزالت نسعة أعشار الاسباب التى تبعث على الجريمة أو على فساد الاخلاق . فان الرجل الذى يحب بيته يكره ان يسهر الليالى خارجه ويكره ان يقضى ساعة فى القهوة ويؤثر البقاء فيه على أى شىء آخر

• • •

لهذا السبب أصبحت الحكومات الاوربية تسعى لحض الناس على شراء البيوت ، وهى تقرض الشركات التى تقوم بهذا البناء الاموال الضخمة لتكثر على البناء . بل هناك ـ كما قلنا ـ بعض الحكومات لاتجيز للدائن أن يبيع البيت الذى يملكه المدين مهما كان له من الدين . فالبيت تتوارثه الاسرة وتعلق عليه كرامتها ويطبعها افرادها بطابعهم الشخصى حتى يعود ذكريات مجسمة وتاريخا ماثلا . ومثل هؤلاء الافراد هم النواة للنظام الاجتماعى الحسن

• • •

أسرة لاتتفكك ولاتنقسم على نفسها مؤلفة من زوجين فقط واولادها وبيت يورث ولايباع ولايجزأ هما الضمان للسلام والعام فى الامة وللابتعاد عن الجريمة بل هما الضمان للسعادة والحب بين أعضاء الاسرة ثم بين اعضاء الامة

ونحن احوج الى ما يزيد الارتباط بين اعضاء الاسرة من الاوربيين . ذلك ان جونا فى مصر حار يشتت ويفرق . وهو فى اوربا بارد يجمع اعضاء الأسرة فى غرفة حول النار المتدفئة . ومتى اجتمعوا فقد تحدثوا وتناقشوا . ينشأون منذ الصغر وهم يرون هذه النار تجمعهم فيذكرون طفولتهم وصباهم احسن الذكر والذه . وهذا بعض السعادة التى يحرمنا جونا منها نحو عشرة اشهر فى العام . ولكن مع ذلك ليس كبيرا على مهندسينا ان يوجدوا موقد الكل مسكن يكون وسيلة الى الارتباط

بين اعضاء الاسرة بعض الاشهر

وفى هذا الشهر (ديسمبر) يمكن القارىء المصرى ان يرى وسيلة اخرى من وسائل الارتباط نعنى بها شجرة عيد الميلاد

فان هذه الشجرة هى اختراع الماني يرجع الى عهد الوثنية قبل أن تعتنق المانيا المسيحية . ولكنها اصبحت شارة لعيد الميلاد المسيحى ، وهى تقدم الفرصة للوالدين بان يقدما الهدايا لاولادهما يوم ٢٥ ديسمبر من كل عام . وقد الفت الاساطير عن ملك اوقديس قد شاخ وشمل رأسه ووجهه الشعر الابيض يدعى سانتا كلوز فهو يحمل الهدايا الى الصغار كل عام . وهذه الشجرة تتوسط الوليمة فى يوم العيد فيكون الفرح تاما والتهانى الكثيرة

ويوم من ايام الطفولة فى مثل هذا الوسط جدير بان يذكر فى مستقبل من الايام وان يملأ النفس بالحب للبيت وللوالدين وللاخوة وأن يزيد السعادة ويرد عن الذهن خواطر الشر ويقمع بواعث الفرقة . شجرة تؤخذ من عصر الوثنية وأساطير تؤلف لزيادة الهناء للاطفال وزيادة الارتباط بين اعضاء الاسرة يجب ان يكون فيها مغزى لنا نحن فى مصر ، ويجب ان نبعث بهذا المغزى الى التفكير فى الوسائل لزيادة السعادة بين اطفالنا حتى لا يكون العيد فرصة للاكل الكثير فقط

فاذا اضفنا الى هذا ان لكل فرد فى اوربا يوم ميلاد هو عيد يحتفل به . فتصل اليه الهدايا من الاهل والاصدقاء وتقام له وليمة ساذجة او مركبة بين اخوته وأبويه ، عرفنا قيمة البيت وقيمة الوسائل التى تربط اعضاءه ليس فقط لزيادة هنائهم بل لكى ينظروا فيما بعد الى افراد الهيئة الاجتماعية كما ينظر كل منهم الى اخوته أو أبويه اى نظرة الحب والاخاء والتعاون

فلكى نعمم السلام فى الامة ونزيد السعادة

١ — يجب ان نمنع التفكك بين روابط الاسرة بالاقلال من الطلاق وبالاقتصار على زوجة واحدة ٢ — ويجب ان نساعد على امتلاك البيوت وان نجعلها حرما لا يمكن ان ينزع من الاسرة التى تعيش فيه مهما افتقرت ٣ — ويجب ان تكون لبيوتنا تقاليد حسنة تؤدى الى احتفالات من وقت لآخر بهذا العيد الخاص لميلاد أحد الافراد ولهذه الفرصة التى تمثل يوم زواج الابوين او حتى لذكرى هذا الاخ الصغير الذى مات قبل العاشرة من عمره

فى مثل هذا الوسط الذى يظلله الحب لا يمكن ان تتسلل خواطر الجريمة الى قلب سكانه . فاذكر ذلك أيها القارىء حين تسمع عن فلاح تقول الصحف أنه قد انفذ فيه حكم الاعدام بالشنق فى صباح هذا اليوم . فان مثل هذا المسكين قد نشأ وهو لا يجد ما يربطه برباط الحب والاحترام للاسرة او للبيت . فالاسرة مفككة ابوه قد طلق امه وهو طفل او قد تزوج عليها اخرى وبيته هو زريبة مواشيه



شجرة عيد الميلاد والهدايا للاطفال معلقة بها

اسبانيا قبل فرانكو..



راقصة اسبانية

غاية الثقافة

أن نجعل الانسان انسانيا

هذه هى الحكمة التى قال بها الأديب الألمانى توماس مان ونحن هنا نحاول أن نشرحها ونستخرج مغزاها أو مغازيها

وقد يقال إن الانسانية هى صفة الانسان فليس هناك معنى لأن نجعل الانسان إنسانيا . ولكن هذا التحليل هو للظواهر فقط . لأننا نعرف جميعاً أن كثيراً من الناس لا يزالون بعيدين عن الانسانية وفى لغتنا العربية كلمة مروءة وهى المصدر من المرء . ومع ذلك ليست المروءة من الفضائل العامة بين الناس . بل الواقع انها أندر الفضائل وأشقها فى التحصيل

وكذلك الانسانية من الفضائل الشاقة لا يحسن تحصيلها إلا الرجل المثقف . لان الثقافة تعرض له تاريخ الانسان وجهوده الماضية والحاضرة وارتفاعه إلى الشرف وانحطاطه إلى الخسة . تعرض قسوته ورحمته وقبحه وجماله . وعدالته ومظالمه وذكاءه وغباءه وتعرض له موكباً زاخراً بالمجاهدين والأبطال من أجل الحرية والحق والشرف . أولئك الذين اكتشفوا واخترعوا ليس فقط فى العالم المادى بل فى العالم المعنوى فى الآداب والفنون والعقائد والمذاهب والفلسفات

والرجل المثقف يشعر أنه قد اندمج فى هذا الجهاد ان لم يكن بالعمل فبالروح والقلب . ويرى إن الثقافة قد غرست فى نفسه مزاجا يجعله انسانيا يكره القسوة والاستبداد ويعالى الرفق والحرية ويحب الذكاء ويألم من الغباء ويطلب الصحة بأنواعها : صحة الجسم وصحة العقل وصحة الضمير . ويحب النظام ويكره الفوضى . ويستهويه الجمال — جمال المرأة وأيضا جمال الزهرة وجمال الفكرة وجمال الفن .

والرجل المثقف لا يطيق القسوة وهو يكره تعذيب الحيوان قبل الانسان لأنه يعامل الحيوان بالانسانية التى غرستها فيه ثقافته . ولذلك أيضا هو لا يطيق التفكير فى الحرب أو الايمان بالديكتاتورية أو التوسع الامبراطورى . وعنده من انسانيته ما يحمله على الرفق والرحمة ليس فى معاملة الناس بل فى معاملة المجرمين وليس فى النظر إلى الاخوان والزملاء بل فى النظر إلى الخصوم والاعداء

والرجل المثقف هو الذى يقيس الأشياء والناس بالقيم الانسانية . فالشىء أو الشخص لا يكون خطيراً عظيما لأن له قيمة اقتصادية أو حربية او سياسية وإنما لأن له قيمة إنسانية . والأمة الفاضلة هى تلك التى تهىء لنفسها نظاما يجعل للقيم الانسانية المكانة الاولى والغاية المقصودة من نشاط الافراد وجهدهم بحيث يتجه كل شىء نحو توفير الذكاء والجمال والنظام والصحة .

وليست الثقافة مجموعة من المعارف قد حشدت فى الذهن أو اودعت فيه كأنه خزانة من الجماد ، بل الواقع أن مثل هذا الحشد أو الخزن غير ممكن . لأن الذهن جسم حى وهو يتفاعل مع المعارف التى يدرس . ثم هو بقدرته على النسيان يستطيع أن يأخذ ويرفض . وقد يبدأ الانسان فى ميدان الثقافة مضطربا يتخم ساعة ويسقط اخرى . ولكنه عندما يتقدم يهتدى إلى الطريق . ويرى نفسه وهو ينمو فى انسانيته بنمو ثقافته لأنه وهو يتفاعل مع المعارف المختلفة انما يتفاعل فى الحقيقة مع أساليب ومواد التفكير الانسانية فى مدى الالاف الستة أو السبعة من السنين الماضية . وهو بذلك يكتسب بصيرة للمستقبل هى بصيرة الحكمة الانسانية القائمة على تعرف الماضى ودرس الحاضر . لانه قد وقف على مأساة الحياة البشرية وتورطها فى الاخطاء الكثيرة كما وقف على انتصاراتها القليلة فى الاكتشاف والاختراع . فى نفسه مجهودها الشريف نحو الانسانية وفى نفسه آلامها الكثيرة الماضية . بل فى نفسه هذا الخزى العميق للمظالم المتعددة التى وقعت ولا تزال تقع بالناس . وهو يعد نفسه مسئولا عنها لان الثقافة قد غرست فيه كبرياء تجعله يشعر كأنه وكيل عن الانسانية فهو يخزى من فضائحها الماضية ولكنه يجرؤ على المطالبة بالاصطلاح لكى يبرأ من هذا الخزى . إذ هو حلقة فى السلسلة الطويلة لمكافحة هذا الخزى

عندما أقرأ ما كتبه المصرلوجى برستد فى فجر الضمير » أشعر بهذه المأساة الانسانية . فانه يصف هذا الكفاح البطىء الذى قام به المصرى الاول من أجل الحق والحرية والعدل والنظام لكى يمحو عن

نفسه عناصر الحيوانية فهناك قصة الفلاح الذى اعتدى عليه فى الفيوم ونقاشه مع المدير . وهناك لفظة «مآت» التى تدرجت فى المعانى إلى أن أصبحت تعنى الشرف والمروءة . وهناك الفضيلة التى تبدأ أولا بحب الأبوين ثم تنتهى إلى حب البشر . بل هناك هذه الفكرة المؤلمة فكرة اليأس والامل معا. فكرة «ابن الانسان» الذى يأتى لكى ينقذ البشر من استبداد المستبدين . وهناك ميزان المحاكمة تنصبه الالهة فى العالم الاخر لكى يقوم الاخلاق فى هذا العالم الحاضر

فاذا انتقلنا من مصر إلى أمم الشرق فاليونان فالرومان رأينا هذا التقدم البشرى يصطدم بعقبات من الجشع والانانية والقسوة والجهل والفوضى لان وسائل الثقافة ضعفت فرض الضمير ونقص مقدار الانسانية فى الانسان . ثم زاد النقصان حتى وصل إلى درجة العدم فى القرون المظلمة حين عمت الجهالة جميع أفراد الامة ملوكا وسوقة . فاذا كانت النهضة الثقافية فى أوربا تبعتها خميرة عربية من ناحية الاندلس هب الضمير الانسانى وأخذت الثقافة تخط جديد يغرس فى النفوس نزعات جريئة إلى الجمال والحق والشرف والنظام

ثم نرى بعد ذلك ثورات متوالية هى ثمار الثقافة الجديدة التى جددت النفوس وزادت الانسان انسانية . فالناس يكتشفون ويخترعون . يكتشفون أمريكا ويخترعون «حقوق الانسان» الثورة الفرنسية ويكتشفون القطار ويخترعون الاشتراكية ويكتشفون قواعد الطبيعيات أو قوانينها ويخترعون عصبة الامم

ولكن ماذا أقول هل عصبة الامم قائمة أو نائمة ؟

لقد قال رجل مثقف آخر هو ولز الاديب الانجليزى اننا يجب قبل أن نصل الى تحقيق خيال الحكومة العالمية أن نجهز الناس فى جميع الامم بالجهاز الذهنى بأن نؤلف موسوعة تحشد فيها جميع المعارف وتترجم الى جميع اللغات حتى ينشأ الناس وهم على مقدار سواء من الثقافة تغرس فيهم نزعات متوافقة تجعلهم يؤمنون بقدرة الانسان على أن يكون انسانيا قبل أن يكون مصريا أو انجليزيا أو صينيا قد سلخ عن نفسه ذلك الكساء الحيوانى كما يسلخ الثعبان جلده . وعندئذ يتخلص من تلك النعرات التى يصرخ بها فضاء هذه الكرة كأنها نعيب الغربان على الحضارة القائمة

عيد الميلاد في القدس

بقلم السردار إقبال على شاه . وترجمها عن الانجليزية الاستاذ أحمد عبد المنعم

لمدينة القدس ، في ماتي كمسلم ، المكانة الثانية في القداسة بعد مكة . فبعد أن يقوم إخواني المسلمون بحج البيت في مكة كل عام يؤمون مدينة القدس الشريف التي نؤمن بأن محمدا النبي الكريم أسرى به ليلا على ظهر البراق النبوي الى صخرة حمراء في هذه المدينة عرج من فوقها الى السموات العلا فلقى العلي القدير تباركت ذاته . وما زال هذا الحجر مطمورا في مكانه داخل قبة الصخرة .

وفي هذه المدينة أيضا بشر المسيح عيسى بن مريم بالانجيل الذي نقدسه كما يقدس العالم القرآن . وعيسى — كما هو اعتقادنا — من أعظم أنبيائنا المرسلين ، ولامه مريم عليها السلام مقامها المبجل . فلهذه الاعتبارات يرى الاسلام في القدس البلد المقدس الأمين .

كانت هذه الروح تملأ نى عندما دلفت نحو هذه المدينة الطاهرة و كنت كلما اقتربت منها ازددت احساساً براحة وغبطة واحترام جعلت تطغى على شيئا فشيئا . وعندما تطلعت الى السابلة المزدحمة تبينت في اعطافها مواكب حية متدافعة لاديان عتيقة ، كما طالعتني قبة الصخرة المقدسة من اطار الجبز النابت حولها بحديث مختلف عن عهد آخر غير عهود تلك الأديان ، وكانت نواقيس ضخام تقرع في مكان ما غير أن اصواتها كانت تصل الى اذنى رنينا غير منغوم . فما لبثت ان صحت « ها هو القدس الشريف الذى ذكره الله في كتابه العزيز » ثم قمت فصليت حمدا لله وشكرا . اولم يعرج نبي الاسلام ليلا الى العرش السماوى من هذه المدينة ! أو لم يحى المسيح الموتى باذن الله في هذه المدينة !

وأحسست في الهواء لفحة دافئة من تأثير الشمس في ذلك الاسبوع من عيد الميلاد وأنا انتقل من مزار الى مزار أساوم في الاسواق الضيقة وأزاحم مختلف الناس الوافدين من جميع الاقطار من بولندة الى يافا .

وصاح دليل نصراني من ادلاء الحج بأحد اصحاب الحوانيت « صباح الخير » ولكن رد

التحية تلاشى فى غمرة استعلام احدى السائحات عن ثمن عباءة عربية من الحرير معلقة فى الحانوت الا أن السيدة رفضت أن تدفع فيها عشرين دولارا مفضلة شراء عباءة أخرى من «برادواى» أقل من هذه ثمنا .

ويمر الناس سراعا يكاد الواحد منهم لا يلقى بالا الى المقر الخامس للصليب ولكننى تمهلت وأنا أفكر فى الكفاح العنيف الذى كابده عيسى فى طريق «فيا دولوروزا» المعبد بالاحجار الذى كنت فيه أسير . ترى ما هو تاريخ البشرية الذى حوله هذا الطريق ذو العقود عن مجراه ؟ ومع ذلك فالسقاء يقود فيه حماره يبيع عليه الماء غير آبه وكهنة اليهود بشعورهم المدلاة خصلا الى وجناتهم يمرون فيه بالمشاهد التى شيدت فوقها المدنية الاوربية .

ويسير المسلمون والنصارى واليهود فى الاسواق المقببة التى تجد فيها كل شىء من السلاح الدمشقى القديم الى انق أربطة الرقبة الحديثة وهم يتشابهون فى أرديتهم العربية الفضفاضة الا البعض القليل من العرب المستحدثين فيرتدون الثياب الاوربية وبين هنا وهناك تلمح قسيسا من طائفة الروم بقبعته السوداء العالية أو رجلا من بنى اسرائيل بقلنسوته ذات الحافة المحاطة بالفراء يتسلل خفية فى إحدى المنعطفات وتعود العين فتقع على النقباء المسلمين فى جببهم المستفيضة الواصلة الى كعوبهم وطرابيشهم المعممة منطلقين جادين الى جامع عمر .

وترى الخيل والاغنام والماعز تتدافع مع السابلة المتزاحمة أما الجمل فيتجاهل هذا السيل العرم من البشرية وهو اما شاق طريقه فى حال سبيله واما متوقف بحانوت خضرى يتذوق جزره . ووراء ذلك تلوح كنيسة القبر المقدس متجهمة غارقة فى قداسة العصور .

يكاد يمتنع على الانسان أن يتجاهل الاثر الذى خلفه فى نفسه رؤية أقدس أماكن المسيحية . وتمهيدا لدخولى اليه ابتعت بضع شمعات صغار من أحد الحوانيت واسترعى نظرى أن بواب الكنيسة مسلم وهو امتياز توارثه المسلمون من عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ورأيت الى أحد جانبى الفناء من الداخل متسولين يترنمون بالاهازيج الدينية ومعهم نفر قليل من المكفوفين تجمعوا هناك عن اعتقاد منهم بأن فى «أنفاس» الحجاج شفاءهم من العمى لذا تراهم يلتمسون هذا «النفس» من كل متعبد يغادر الكنيسة . وانتشر صبية من العرب حاولوا أن يبيعونى

صورا مقدسة من حبرون وأساور من زجاج وطرفا من خشب الزيتون .

وبمجرد ما يلج الحجاج الكنيسة يحنون هاماتهم ويتجه بعضهم الى حجر الزيت المقدس فيقبلونه ثم يستأنفون سيرهم فى احترام وخشوع الى البهو البيضى الشكل حيث القبة تحملها أعمدة مربعة وهى من البساطة بحيث لا يمكن مقارنتها بما فى كاتدرائيات أوربا من جمال الفن الهندسي ولكن العبرة ليست بالجدران وانما العبرة بروح المكان . وكانت التراتيم تنبعث من أحد الأبهاء شجية مطربة الا أن الموسيقى التى تصحبها كادت تفسد عليها روح الغناء . كما كان أقباط مصر ذوو البشرة السمراء مجللين بأرديتهم القومية يترنمون أمام القبر بلسانهم العربى فتبينت اذ ذاك الخطأ العظيم فى اعتبار المسيح مسيحيا للبيض فقط كما يحاول البعض أن يدعى .

أما قبر المسيح فبالرغم من أنه لا يتجاوز الاربع والعشرين قدما فى الطول والخمس عشرة قدما فى العرض فقد تبدت لى عظمته ولا غرو فهو القلب النابض لدين كبير وعندما ولجت الحجرة الداخلية الرخامية منحنيا تحت بابها الذى لا يزيد ارتفاعه عن الاربع الاقدام وأصبحت فى جوف معبد القبر المقدس نفسه خالجنى شعور دلنى على مبلغ ما للقداسة من تأثير فى النفوس وكان هناك قسيس من الروم واقف ساكن لا يأتى حراكا يحملق فى صمت الى ربق شاب وضع مسبحته على صخرة القبر وجثا بجانبه على ركبتيه والدموع منهمرة على خديه .

ولما غادرت القبر كان عدد الناس بين داخل وخارج فى نحو عشر دقائق لا يقل عن الثمانين فكان المزار لا يخلو مطلقا ولكن مظهر الحجاج كان يدل على فقرهم فتساءلت عجبا أتحول الثروة بين أغنياء المسيحيين ومهد المسيحية !

وهكذا وأنا تحت تأثير هذا الجو المشبع بالتجارب عرجت فى دروب البلد فرأيت منظرا أمورا شيئا وشبانا من النصارى جاثين يصلون فى أحد الامكنة المقدسة بينا حراس من المسلمين يوجودون موكبا من الآباء الفرنسيسكان خلال الاسواق المزدحمة وحراسة المسلمين للمواكب الدينية المسيحية تراث آخر ينحدر من عهد الخليفة عمر بن الخطاب عندما فتح بيت المقدس سنة ٦٣٧ فلم يكتف رضى الله عنه باباحة الحرية الدينية للمسيحيين بل جعل فى ذمة المسلمين عهد السهر على سلامة المسيحيين هم وكنائسهم

وأفضى بي التجوال الى مبكى اليهود وهو في ظاهره لا يزيد على أنه جدار من الاحجار طوله اثنان وخمسون ياردة وارتفاعه تسع وخمسون قدماً ويقال انه الحائط الغربي للهيكل القديم . أما من الناحية الروحية فله أثر عميق لاولئك الذين يلوذون به ويحنون عليه أكثر مما تحنو الام على وحيدها . كان اليوم الجمعة وقد اجتمع الى هذا الجدار رجال ابيضت لحاهم وشباب مرد ونساء وأطفال يبكون على طلل الاحجار. ورأيت امرأة بلغ نحيبها من المرارة ما كاد يدفعني الى مشاركتها في البكاء . ويشترى بعض البكائين زيتا مقدساً من رجل قريب يوقدون به قناديل صغيرة من الفخار يجعلونها في فجوات في الجدار متخلفة من تفتت الحجارة . وحتى بائع الزيت هذا له عينان حزينتان وبالرغم من انهما كله يبيع الزيت فهو يساعد نفراً من الشيوخ على ترديد صلواتهم .

وصلت الى قبة الصخرة المقدسة وهي قائمة خلف الحي الاسلامي مباشرة وفي جوفها حجر عظيم من الصخر الاصم الاحمر عرج منه النبي صلى الله عليه وسلم الى السماء كما نعتقد في ليلة معينة هي ليلة الاسراء ومن ثم أصبح للصخرة لدى المسلمين قداستها . والفناء العظيم الذي يحيط بالقبة سبعة أبواب ومنذ أن ابتنى الخليفة عبد الملك بن مروان قبة هذا الصرح ثم جددها السلطان صلاح الدين الايوبي شاهد حرم هذه الصخرة حجيجاً من كل فج عميق من مختلف انحاء الكرة الارضية ويحيط بالصرح ثمانية سلالم في رأس كل سلم عقود مرفوعة على عمد ضخام في جمال وروعة يقصر دونهما الوصف . ويغطى الآجر الملون جوانب الحرم المثمن الشكل وتتوج الحرم قبة ترتفع الى مائة وثماني أقدام نقشت عليها بالعربية آيات من القرآن الكريم وفي داخلها اجتمعت البساطة والعظمة حول الصخرة الحمراء تحيط بها الثريات والمشاكي المدلاة من العقود أدلة مادية على صحة الايمان ويتضوع في جوها أريج السيرة النبوية الكريمة مما لا يحسه الا المؤمنون . فليس ما يدنى هذا الحرم شيء في العالم لدى المسلمين غير مكة المكرمة : أما السكون الشامل للمكان داخل القبة فقد أثار كوامن نفسي فسالت من مقلتي العبرات وشعرت في ذلك الموقف بأن رسالة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام هي الرسالة الحق دون سواها وأن في جوف هذه الصخره من ألف عام ويزيد لتاريخاً خفيا لركن من أركان هذا الدين الحنيف .

يقع المسجد الاقصى قبالة قبة الصخرة ولهذا المسجد قداسته وقيمته الدينية الخاصة به وقد يصيب

المسلم بالصلاة فيه كثير من المثوبة فقد ورد ذكره فى القرآن مرارا . وشاهدت داخل المسجد حجاجاً من التتار من أهل بخارى ذوى عيون حالمة جالسين مع العرب اخوانهم فى الاسلام كما كان هناك حجاج آخرون من الهنـــد وكأنهم فى صميم بلادهم . فنحن المسلمين لا نشعر بفواصل جغرافية بين بلداننا فاذا مانادى المؤذن بالصلاة وقفنا جميعا وجوهنا الى مكة نركع معا ونسجد معا ونرتل القرآن معا ونقوم معا تستوى لدينا بلدان المصلين مهما اختلفت أو شط المزار فليس المسلم فى الواقع قومية غير دينه وقد لا يفهم أحدنا لغة أخيه ومع ذلك فنحن كحجاج مسلمين فى هـذا البلد المقدس أسرة واحدة هدفنا واحد وسندنا واحد ومثلنا الاعلى واحد .

أرونى بعـــد ذلك المكان الذى يسير فيه موكب الحجاج المسلمين حاملين الاعلام يبدون غبطتهم وفرحهم بالنبى موسى بمختلف المظاهر وشتى الحركات .

وجعلت الايام يتلو بعضها بعضا وأنا منهمك فى الصلاة والتأمل والتعبد حتى غصت مدينة القدس بالسائحين من الحجاج المسيحيين . وفى يوم عيد الميلاد سرت على قدمى الى بيت لحم وكان المطر رذاذا وبالرغم من ذلك واصلت السير لان الركوب الى مسقط رأس المسيح يفقد الانسان الشعور باللذة الروحية ولقد كانت المواكب بديعة حقا وهى تخترق شوارع المدينة متجهة الى كنيسة الميلاد تتجلى عليها أمارات الورع العميق . وعند ما عدت الى بيت المقدس رأيت قساوسة عائدين صحبة أيتام من اللاجئين الذين يشرفون على تربيتهم .

ووقفت بالقرب من كنيسة القيامة فوق جبل الزيتون فتبينت صحة القول المأثور ان القدس «مدينة فوق تل» فقد شاهدت من موقفى هـذا منظرا عاما للاديان الممثلة بأبنيتها . ففوق الهضبة المواجهة لى يقوم الحرم الشريف وقبة الصخرة تتوج ماحولها ووراء ذلك تقع كتل متراصة من بيوت اليهود يتألف منها شارع داود الذى يمتد حتى كنيسة القبر المقدس وتقع البناية المسماة «نوتردام دى فرانس» فى الطرف الآخر وخلفها يمتد الطريق الى يافا كأنه شريط أبيض .

وألقيت ببصرى خلال أغصان الزيتون الى الوادى تحتى حيث يقع فى القالب المسرح الذى مثلت عليه روايات الاديان المختلفة فلاحظت السلام الذى يسود جو تلك الانحاء . ان هـذه البنايات التى أرى ليست من حجر وآجر وملاط بل انها أسفار وكتب تكتنز فى بطونها التواريخ والعبر .

ورأيت امرأة تحمل على رأسها جرة ماء مخروطية الشكل من الفخار تقصد الحقل حيث يعمل زوجها في حراثة الارض فطربت لهذه الشخصية الانسانية الحية تلج هذا المنظر الشائق فتكسبه طلاوة وتزيد في مظاهر الراحة والسكون التي ترفرف عليه .

ولا بد أنني قضيت وقتا طويلا تحت شجرة الزيتون وأنا مستغرق في هذه الافكار وأمثالها لأن أشعة الشمس مالت على المآذن وبدأت الاجراس تقرع من كنائس عدة بينما أذن المؤذن في المؤمنين يدعوهم للصلاة . لقد كان على أن أناضل حتى أستطيع انتزاع نفسي من هذه المناظر الروحية الرائعة لأعود الى خضم الحياة الحديثة وما فيها من برق خلب وزخرف كاذب ؟

الصحافة

كثرت المجلات الصغيرة في كل من امريكا وأوربا . فان المجلة لا تبلغ في حجمها نصف مجلاتنا الشهرية وهي تعتمد على نشر خلاصات لما يكتب في جرائد العالم ومجلاته . وقد بلغ ما يطبع من إحدى هذه المجلات في أمريكا مليوني نسخة . وذيوع هذه المجلات دليل على الرغبة في الاحاطة بما يجري في العالم مع اعتبار السرعة وقصر الوقت

وظاهرة أخرى فشت حديثا في لندن . وهي ان أحد المحررين المعروفين بدلا من أن يكتب في احدى الجرائد الكبرى مقالات أو تعليقات على سير الحوادث في العالم يكتب ورقة أو ورقتين ويطبع بضع مئات من النسخ ويرسلها الى المشتركين . فالمشترك لا يقرأ هنا مجلة بل يقرأ خطابا أسبوعيا أو شهريا قد كتبه محرر معروف بتعمقه في درس السياسة العالمية وهو يعرف انه مستقل في ارائه

وهذا الاستقلال هو أهم ميزة لهذه الخطابات . لان الكاتب عند مايكتب في احدى الجرائد يضطر الى الخضوع — ولو خضوعا سلبيا يقوم على الامتناع عن الكتابة في موضوع ما — للجريدة أما كاتب الخطاب فليس من يؤثر فيه

الزراعة فى مصر القديمة وأشهر الفراعنة عناية بها

بقلم الاستاذ عبد الرؤوف محمد طنطاوى

اشتهرت مصر بالزراعة منذ القدم إذ كانت هى الحرفة الرئيسة لسكان هذا الوادى الخصيب، فشبوا زراعا مهرة وتبوأوا مركزا فى هذا الفن حتى فى عصور ماقبل التاريخ عند ماكان القوم يتخذون من الحجارة آلات لقطع الأشجار ومناجل من الصوان لحصد الغلال.

ولقد ساعدت طبيعة هذا القطر على اطراد تقدم الزراعة فدفعت سكان النيل الأوائل إلى غرس بزور المدنية بأرض خصبة وفى وقت مبكر مهد السبيل لنمو أعرق المدنيات فازدهرت وأينعت حتى عم خيرها العالم أجمع.

وكان لفيضان النيل ذى الغرين العظيم الخصب الأثر الاكبر فى حث القوم على فلاحة الأرض وتركيز جل جهودهم فى استثمارها.

ونظرا إلى العلاقة الوثيقة بين فيضان النهر وأثره فى حالة القطر الزراعية أقام المصريون منذ أقدم العصور المقاييس النيلية للتنبؤ بحالة الفيضان وتنظيم حالتهم

أزهار البشنين (لوتس) من تابوت الملك رمسيس الثانى

الزراعية على أساس درجة علوه أو انخفاضه وبهذا تمكنت الحكومة فى تلك العصور السحيقة من حصر المحصول وتقدير نسبة الضرائب الواجب جبايتها . ومن المقاييس القديمة : (١) مقياس مدينة بيلاق (قرب جزيرة الفيلة بأسوان) (٢) مقياس مدينة هو (بقرب نجع حمادى) (٣) مقياس مدينة حابو (غربى الاقصر) (٤) مقياس منفيس (بين البدرشين وميت رهينة) (٥) مقياس مدينة سيين (فى الشمال الشرقى من مديرية الدقهلية) .

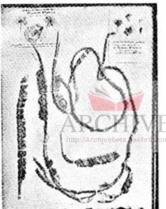
وقد توصل الفراعنة إلى رفع ماء النهر إلى السهول الزراعية وتوفيره للجهات النائية عن مجراه فأكثروا من الترع حتى عم فيضها جميع الارجاء . فاذا أضفنا إلى هذا مهارتهم فى إقامة السدود والمدرجات والقناطر وحفر الترع أمكننا إدراك مبلغ الجهود التى كانوا يبذلونها باستمرار للنهوض بالزراعة وتوفير وسائل الرى لها .

وقد روى بعض المؤرخين عن الملك نارمر « مينا » أول ملوك مصر المتحدة « ٣٢٠٠ ق . م » انه تمكن من تحويل مجرى النيل إلى شرق منف قرب البدرشين ليتمكن من تخطيط هذه المدينة ، ومن الثابت أن الملك امينمحت الثالث « ١٨٤٩–١٨٠١ ق . م » الذى امتاز حكمه بالمشروعات العظيمة التى عادت على القطر بالرخاء والنعيم وضاعفت من محصولاته خصوصا مشروعات الرى اسس مقياسا للنيل عند سمنه (بلاد النوبة) وكان صاحب الفضل فى ابتكار طريقة ناجعة لرى الوجه البحرى أطالت مدة ريه بأن استعمل منخفض الفيوم لخزن المياه الزائدة فى مدة الفيضان وتصريفها فى مدة التحاريق . فقد بلغ طول السد العظيم الذى أقامه ما يوازى ٢٧ ميلا تقريباً ترك وراءه أراضى زراعية تقدر بنحو ٢٧ ألفاً من الأفدنة . ويعتبر هذا العمل بلا شك أقدم مشروعات الرى (منذ ٤٠٠٠ سنة) بالمعنى المعروف .

فالعناية بموازنة المياه فى الرى والصرف وإنشاء الجسور والقنوات والمجارى ليست من مبتكرات الأجيال الحديثة بل أنها من مجهودات الأفكار الموروثة عن الفراعنة العظام .

وأهم الحاصلات الزراعية المتوطنة فى هذا القطر منذ اقدم القمح والشعير والدخن والعدس والفول والحمص والجلبان والكتان والخروع والخس والبصل والثوم والمقات وأنواع الخضراوات التى منها الباميا والملوخية والحماض . أما الزهور فكان منها البردى والبشنين (اللوتس بنوعيه الأبيض

والازرق) ويلاحظ أن أزهار العنبر واللفاح والورد والاقحوان قد استجلبت إلى مصر فى عصر الدولة الحديثة . أما الاشجار فكان منها النخيل والبلح والدوم والبرساء والتين والجميز والمخيط والهجليج والسنط والاثل واللبخ والصفصاف والكرم الذى اشتهر المصريون بزراعته وكان خمرهم المستخرج منه مرغوبا فيه بدرجة فائقة .



أجزاء من اكليل جنائزى مكون من أوراق البرساء وأزهار وبتلات الخشخاش من عصر الأسرة الحادية والعشرين

كذلك تقدموا فى اختيار التربة وعزقها وتنقيتها من الحصا وانتخاب البذور والعناية بها . وأقاموا التكاعيب ثم جمع الثمار وعصرها وتعبئتها القدور وتخزينها كما كانوا يقسمونها إلى درجات بنسبة شهرة الاقاليم المصنوعة فيه .ورغبة فى حفظ ثمار العنب جففوها (الزبيب) مما يدل على تفوقهم فى الصناعات الزراعية ، وخمروا عصير العنب لعمل النبيذ ومن أشهر أنواع النبيذ عندهم نبيذ منديس (تل القصر — دقهلية) ومريوط وكوبتوس (قفط) وتنيس صا الحجير والفيوم • ولم تقتصر شهرة الخمر المصرية على البلاد المجاورة بل تعدتها إلى بلاد اليونان وجزر البحر الابيض المتوسط

وعلى ذكر الصناعات الزراعية يجدر بنا أن نذكر فضل قدماء المصريين فى ابتكار الكثير منها

إذ ما زالت نقوشهم في مختلف العصور التاريخية تبين درجة تقدمهم في تحنيط الاسماك وتجفيفها وغزل الخيوط الكتانية ونسجها لدرجة أن بعضها يضارع أدق المنسوجات في الوقت الحاضر ، كما أنهم تقدموا في عمل النبيذ كما أسلفنا ، والبيرة المستخرجة من الشعير ولم يفتهم الاحتفاظ بثمار البلح والجميز والدوم والتين حتى إنهم استطاعوا حفظ لحم هذه الثمار كما هو متبع الآن خصوصاً في الشام ، كذلك توصلوا إلى استخراج الزيوت من الحبوب الزيتية بواسطة عصارات حجرية ، أما تربية النحل فقد انتشرت بينهم وكانت تعتبر من أشهر الصناعات لان عسلها كان يقوم بينهم مقام السكر بيننا في الوقت الحاضر ، ولم يفتهم كذلك الانتفاع بشمع العسل فصنعوا منه التماثيل الصغيرة

ولقد أغرم قدماء المصريين بفلاحة البساتين فأنشأوا حدائق جمعوا فيها أشجار الفاكهة والازهار الجميلة والبرك الصناعية والتكاعيب وغيرها من مستلزمات الحدائق ، وكانت صناعة الباقات المنسقة



الدراس وتذرية الغلال — من مقبرة منا بغرب الأقصر (حوالي ١٤٠٠ ق . م)

والاكاليل من أهم واجبات البستاني نظراً إلى حاجة القوم المتزايدة إلى هذا الفن سواء في حفلاتهم وأعيادهم الدينية أو في الطقوس الجنائزية

ويجب ألا ننسى في هذا المقام جهود الملكة حتشبسوت « ١٥٠١ — ١٤٤٧ ق . م » في الزراعة ومهارتها في فن الحدائق إذ أقامت في الدير البحري «غربي طيبة» معبداً فخماً يحتوى على ثلاثة مدرجات تمجيداً للمعبود آمون ، وغرست الاشجار في حدائق المعبد المقامة على تلك المدرجات بعناية فائقة وكانت عمالها جمع الكنوز الثمينة لهذا المكان وكان من بينها ٣٢ شجرة من أشجار البخور استجلبت من بلاد «بنت» الصومال حيث أقلمت بصيلاتها في فصل الخريف

على ما يظهر قبيل بدء الازهار ثم نقلت إلى مصر في المراكب بعد وضعها في الاصص الكبيرة ولا بد لهذه المؤسسة العظيمة ذات الحدائق المدرجة من نظام رى محكم يكفى حاجاتها كفاية مستفيضة .

كذلك يمثل الملك تحتمس الثالث ١٥٠١ — ١٤٤٧ ق . م نبأ استيراده للنباتات الاجنبية فى مؤسسته بالكرنك المعروفة بحجرة الزراعة حيث نقش على جدرانها أشكال النباتات التى استوردها من اسيا الصغرى فى أثناء غزواته المتكررة لها ، ولا بد أنه اعتنى بنقلها سليمة إلى هذا القطر ، ولا تزال هذه الحجرة من أهم المراجع الجامعة التى يرجع اليها علماء الزراعة القديمة فى تعرف النباتات الداخلة على هذا القطر فى هذه الفترة من التاريخ

ولقد حفلت الآثار المصرية بمناظر الزراعة مما يدل على تعلق القوم بها وطلب الاستئناس بمناظرها فى الحياة الاخرى . وتحتوى مقابر سقارة من عصر الدولة القديمة ومقابر بنى حسن من عصر الدولة الوسطى (حوالى ٢٠٠٠ ق . م) ومقابر طيبة بالاقصر على كثير من النقوش البارزة والملونة لمناظر الحرث ورعاية الابقار والحصاد وقطع الاشجار ومساحة المحاصيل والعناية بالبساتين إلى غير ذلك من الشئون المتعلقة بالزراعة

فعلى هذه حالته الزراعية وتلكم جهود ملوكه فى النهوض بمستواه الزراعى لا يستبعد عليه مركزه الاقتصادى فى العالم القديم إذ كانت مصر تعتبر مخزناً للحبوب وقبلة أنظار الشعوب القديمة إذا ما حل القحط أو نضب المعين .

وإنه لفخر لمصر عظيم أن يصبح لها متحف زراعى يجمع ضمن محتوياته آثار مصر الفرعونية من نبات وحيوان وآلات زراعية تنهض دليلا على اطراد تقدم الزراعة بهذا الوادى السعيد منذ القدم ، كما تشيد باهتمام ملوك مصر فى العهد الحديث بالشئون الزراعية ومحافظتهم على التراث الأثرى العظيم لهذا القطر . فعمل جلالة المغفور له الملك فؤاد الاول على إنشاء هذا المتحف المقرون باسمه الكريم وتم افتتاحه فى عهد خلفه الصالح الناسج على منوال أجداده العظام جلالة مولانا المعظم فاروق الاول أعز الله به شعبه .



عينان ناطقتان

نادى الغلمان المحرومين

فى كوبرى الليمون بالقاهرة

فى الشهر الماضى اولمت جمعية الشبان المسيحيية فى القاهرة وليمة عشاء ليست فاخرة فى طعامها ولكنها جليلة سامية فى مغزاها . اذ كان العشاء عدسا لا اكثر . وقد كان ضيف الشرف الاستاذ مصطفى عبد الرازق وزير الاوقاف . وقد شرحت الغاية من هذا العشاء بانها جمع التبرعات لما يسمى « نادى الغلمان المحرومين فى كوبرى الليمون »

وهذا النادى من نوع جديد لا نذكر انه وجد قبـــل الآن فى بلادنا فانا نعرف كلنا شيئا أو أشياء عن ملاجىء اليتامى وابناء السبيل التى تجمع الاولاد والبنات الذين لا عائل لهم وتطعمهم وتكسوهم وتعلمهم صناعات ونعرف كذلك عن التكايا التى تجمع العجزة أو من فى حكمهم وتؤويهم وتعولهم ونعرف اشياء اخرى عن الاصلاحيات وهى التى يرسل اليها الغلمان الاشقياء والرجال الذين تعددت سوابقهم لمعالجة ما تأصل فى نفوسهم من شر وهذه كلها معاهد انسانية نافعة بلا مراء

غير ان نادى الغلمان المحرومين فى كوبرى الليمون يختلف عن تلك المعاهد اختلافا بينا فهو على مثال النوادى الرياضية والادبية المعروفة للشبان والرجال فى انظمتها ولكنه لطبقة الاولاد الصغار الخارجين من اوساط فقيرة جاهلة . وأعضاؤه يدفعون اشتراكات وان لم تكن بالمليمات لا بالقروش ولا بالجنيهات لتكون النسبة محفوظة بينها وبين حالة هذه الطبقة . ولم يشأ واضعو نظامه ان يجعلوا الاشتراك فيه بالمجان حتى يبعدوا عنه صبغة الملاجىء والتكايا ويربوا هؤلاء الصغار الفاليك على عزة النفس والشعور بالكرامة الشخصية والاباء . وهذه اولى الخلال الحسنة التى اريد غرسها فيهم

ولا يجهل احد نوع الاخلاق والعادات التى ينشأ عليها «صبيان» حوانيت الصناعة كالنجارة والحدادة والسباكة وغيرها . وصغار العمال وتلاميذ المدارس الالزامية الفقراء — وهى الطبقات التى يتألف منها جميع أعضاء النادى — فانهم محرومون جميعا من وسائل التهذيب والتربية الحقة عاطلون من الصفات التى تجعلهم يشبون رجالا نافعين لانفسهم ولوطنهم . فمهمة النادى

هى ان تنتزع منهم العادات التى يوشك الوسط الذى نشأوا فيه ان يولمها فيهم ويحل محلها عادات اخرى حسنة وذلك بواسطة الارشاد والقدوة والعطف والتدريب العملى عن طريق الالعاب الرياضية والاجتماعات . وكانت العادة الاولى التى اكسبتهم اياها عادة «النظافة» فانشأ لهم حماما ومغسلا فمتى وصلوا الى النادى خلعوا ملابسهم القذرة وغسلوها ونشروها ولبسوا ملابس اللعب — وهذه يقدمها



نادي الغلمان المحرومين

لهم النادي مجانا — وبعد ما ينتهون من لعبهم يغتسلون فى الحمام ويرتدون ملابسهم النظيفة . وقد عانى رودام صعوبات جمة قبل ان حببوا اليهم هذه العادة نظرا لما الفوه فى بيوتهم من الاهمال والسكون الى القذارة

ومن أدلة نجاح النادى فى ذلك ان غلاما حديث العضوية لبس مرة ملابس غلام اخر خطأ فابى هذا ان يلبسها قبل أن تغسل ثانية بحجة ان العضو الجديد قذر لانه لم يتعود الاستحمام !

والخضوع للنظام عادة اخرى كسبها هؤلاء الغلمان فقد كان من طباعهم الخصام واحداث القلاقل والاشتباك بعضهم مع بعض فى مشاجرات لاتفه الاسباب فاسلس النادى قيادهم والآن نماسهم وعودهم الطاعة للحكم فى العابهم فاصبحوا يستطيعون أن يلعبوا التنس والبنج بونج والكرة . وغلام صغير فيهم يدير العابهم ويخضعون لحكمه

وأدب العبارة والكلام كان شيئا غريبا عنهم فما عرفوا فى حياة الشوارع غير الالفاظ النابية والشتائم كسائر الذين هم من طبقتهم . أما النادى فما زال بهم يتعهدهم بالنصح والارشاد حتى استطاع ان يطهر السنتهم بقدر الامكان من التفوه بما لا يليق واذا اختلف اثنان منهم فبدلا من ان يتقارضا السب والقذع يلجأن الى فض الخلاف بالنزول الى حلبة الملاكمة بالقفازات ثم يتصافحان بعد ذلك

وقد انتزع النادى من هؤلاء الغلمان رذيلة الميل الى السرقة فاصبحوا اليوم يألفون الامانة ولم يحدث فى خلال المدة التى مضت من يوم افتتاح النادى غير ثلاث سرقات



الغلمان اعضاء النادي حول رئيسهم على افندي

وهناك عادات اخرى غرسها النادى فى الغلمان المحرومين وتضمنها البيان الذى وزعته الجمعية كحب الطاعة والايثار او الروح العام والاعتراف بالجميل وسواها مما لم يكن لهؤلاء الغلمان سبيل اليه لولا هذا المعهد التهذيبى الحديث الذى تحتاج مدينة كالعاصمة الى امثاله فى كل حى من احيائها بشرط أن يتولاها شبان يكونون مثالا فى اللطف وكرم الخلق وسعة الصدر والحب والشفقة والحزم والدقة فى العمل وهى الصفـــات التى توافرت فى رواد نادى كوبرى الليمون

كشف الجرائم والسيكلوجية الحديثة

الاستاذ محمد فتحى بك

آثار الانفعالات النفسية يمكن تعريفها بأنها هى الأعراض التى تبدو على الأعضاء الظاهرة أو الباطنة لجسم الانسان بسبب عامل من العوامل التى تؤثر فى تلك الأعضاء تأثيراً خاصاً، كالسرور والحزن والغضب والخوف والتهيج excitement والهبوط وغيرها، فكل حالة من هذه الحالات لها تأثيرها الخاص فى المجموع العصبي وبجملته جهاز الحركة، وقد دلت الخبرة على أن حالتى السرور والحزن وهما أجلا الحالتان الرئيسيتان اللتان تتفرع عنهما معظم الحالات الأخرى لها نتيجتان عكسيتان من حيث التأثير فى أعضاء الجسم، وأعراضها متضادة، فحالة السرور تزيد فى مدى الحركات الخارجية وتجعلها أكثر من المعتاد، وتقلل من مدى الحركات الداخلية وتجعلها أقل من المعتاد، بخلاف حالة الحزن فانها تؤدى الى عكس ذلك أى الى اضعاف الحركات الخارجية وتقوية الحركات الداخلية، بمعنى أن حركة الانبساط تقل وحركة الانقباض تزيد أكثر من المألوف.

وانه لما يوجب الحيرة معرفة العلة الأساسية لهذه الظواهر العضوية المتباينة فقد يسأل الانسان نفسه لماذا تولد حالة السرور انتشاراً فى عضلات الجسم وأعضائه، وحالة الحزن والكآبة تولد فيه قبضاً وانكماشاً؟ ولماذا لايكون الأمر معكوساً؟ ولكن فى اعتقادى أن هذا اللغز يسهل حله اذا كنا نسلم بصحة قانونى «الوراثة» و «النشوء والارتقاء» فان هذه المظاهر المتباينة قد ورثناها عن جدتنا الأولى فى عالم الأحياء وهى الخلية البسيطة منشأ الكائنات الحية وبجملتها الانسان فهى صفات غريزية فى الانسان والحيوان من مبدأ خلقها حتى الآن.

ولكن الاقتناع بذلك يقتضى منا تسليماً بتوافر غريزة أودعها الله فى نفس كل كائن حى منذ القدم وهى غريزة حب البقاء، وأن جميع أعمال الانسان والحيوان ومقاصده ترمى الى هذه الغاية،

حتى ان الميل الجنسي ، وكل مايتفرع عنه مرجعه اليها ، لأن القصد منه التناسل أي بقاء النوع ، فغريزة حب البقاء قد يتولد عنها كثير من العوامل التي ترمي الى الغاية نفسها ، ومن بين هـذه العوامل ميل الكائن الحي الى السعي لتحصيل قوته ، ومن البديهي أن هـذا السعي يتطلب منه البسط والانتشار ، بعكس عامل الخوف أو الفزع ، فانه يدعوه الى الانكماش والتقلص ، وهـذه الظواهر التي تشاهد في الأحياء الراقية تشاهد في الأحياء الدنيئة حتى في أبسطها تركيبا مثل الاميبا « Amoeba » ، فبعمل التجارب على هذا الكائن الحي الدقيق بوضعه تحت عدسة الميكرسكوب يلاحظ أنه يتأثر بالمنبهات ، فاذا وخز بسن حادة كسن الابرة أومس سطحه بسائل كاو او حريف ، أو سلط عليه تيار كهربائي شديد ، أو قرع بجسم صلب على اللوح الزجاجي الموضوع عليه الحيوان يتقلص وينكمش في الحال ويأخذ شكلا كرويا ، كمن يريد أن يجمع كل قواه المنتشرة ويلم شتات أطرافه في نقطة ارتكاز واحدة يتخذها مركزا للدفاع أو لمواجهة الخطر المحدق به ، وبالعكس من ذلك اذا لامسه سائل مغذ فانه ينبسط وتظهر أطرافه وتنفتح ثقوب المسام لامتصاص العناصر المغذية التي بداخل ذلك السائل وهضمها ، ويسمى النوع الأول من المنبهات وهو الذي يدفع الخلية الى التقلص أو التكور « بالمنبه المنفر » والنوع الثاني الذي ينبهها الى البسط والانتشار « بالمنبه الجذاب » وهذه التجارب معروفة لكل باحث فزيولوجي وبيولوجي .

وقد نشاهد هذه الحالات بوضوح في بعض الحيوانات ذات الخلايا المتعددة ولو كانت من النوع المنحط كالديدان والحشرات والحيوانات ذات الاصداف والدروع الطبيعية كالمحار والقواقع فانها بمجرد اللمس تتقلص وتنكمش أو تتكور أو تهرع الى أصدافها ودروعها ، وبالعكس اذا صادفت ما تستطيبه أو تتغذى به فانها تتمدد وتنتشر وتفتح أصدافها وتبرز منها وقد نفسر بهذا ما نسمعه أحيانا ونعده من قبيل الأساطير والخرافات من أن زيدا من النـاس اجتذب اليه الوحوش بقيثارته أو الطيور بصفيره أو الثعابين بمزماره ، فان السرور أو الطرب يجتذبها الى مصدره ، في حين أنها تفر من الألم وتهرع الى أوكارها وتنكمش فيها خوفا ورعبا .

وكما ان الكائنات الحية من أول الخلية البسيطة الى أرقاها نوعا وهو الانسان يجذبها السرور الى مصدره وينشرها وتنفر من الألم وتفر من وجهه ، وكذلك عضلات الجسم وأنسجته وخلاياه خاضعة

لنفس هذه المؤثرات . فلو عرض سطح عضلة من العضلات لسائل حريف أو كاو أو شديد البرودة او الحرارة أو وخزت بآلة مدبية أو سلط عليها تيار كهربائي قوي انكمشت العضلة وتقلصت حتى ولو بعد قطع العصب المحرك « لكي لا يكون هناك شك في أن للفعل المنعكس دخلا في تقلصها » أما لو وضع عليها سائل معتدل لذيذ وعلى درجة من الحرارة معتدلة أو دلكت دلكا لطيفا انبسطت العضلة وانشرحت

ولا أظن أني أكون مخطئا اذا ما قلت ان كلمة « انبساط » التي يستعملها عامتنا للتعبير عن حالة السرور ماهي الا كلمة بليغة المعنى منطبقة تماما على تلك الظاهرة الطبيعية التي ايدها العلم الصحيح حتى في أبسط الاحياء تركيبا وأدنيها حيا ، فلننظر كيف يفعل بنا السرور فانه يحملنا على بسط أيدينا وأرجلنا وسائر أعضائنا ، وكثيرا ما نشاهد الصبي عند الفرح يصفق بيديه مبسوطتين ، ويطوح برداء رأسه نحو السماء طربا ، ويفتح شدقيه بالصياح والتهليل ، ولننظر كيف يفعل بنا الحزن أو من الانقباض والانكماش وتقلص العضلات .

اليست لكل منا خبرة بما يعتري الانسان عند رؤية الاشباح المخيفة أو سماع الاصوات المزعجة أو لمس الاجسام الغريبة في الظلام من قشعريرة خاصة في البدن أو انقباض في الجلد يقف منه الشعر أحيانا ، وخفقان في القلب واضطراب في حركة التنفس وامتقاع في لون البشرة وبرودة في الأطراف وما ذلك الا لكون رؤية الشبح المخيف أو سماع الصوت المزعج أو لمس الجسم الغريب كلها عوامل نفذت عن طريق الحواس « البصر أو السمع أو اللمس » الى المخ فأيقظت فيه ذكرى مخيفة فتظهر في الحال آثار الانفعالات في الانسان .

فاذا سلمنا بهذه الطريقة التي تدل على صحتها وتؤيدها الشواهد الكثيرة في حياتنا اليومية ، أمكننا أن ندرك بدون صعوبة سر انكماش عضلات الجسم في حالة الخوف وانبساطها في حالة السرور ، فهي غريزة ورثناها عن جدتنا الخلية من بدء خلقها في العصور الاولى وحملتها الينا سفينة الوراثة مع ما تزودته في مراحلها من ثمرات الاجيال الغابرة وهي تمخر عباب الدهر جريا على سنة النشوء والارتقاء . ومازالت ممثلة في الخلايا الكثيرة التي تتألف منها مجموعة أجسامنا البشرية حتى الآن .

غير أن المؤثرات النفسية قد تكون مباشرة ، كوقوع حادث فجائى يصطدم بالحواس فينبه مركز الحركة من المجموع العصبي فتبدو آثار الانفعال الخاصة بكل حادث على حسب نوعه ، وقد يكون التنبيه بطريق غير مباشر بتنبيه مركز الحركة بواسطة الذاكرة أو المخيلة ، وعندئذ تظهر آثار الانفعال النفسانى على أعضاء الحركة بنفس الصورة التى ألفها الانسان واعتادها من قبل فى مثل هذه الاحوال أو بعبارة أخرى ان الانفعالات قد يكون مصدر التنبيه فيها اما خارجيا ، كأن يطرق عامل الخوف أو الحزن أو السرور باب الحواس فيوقظ مركز الحركة وهو يدفع الاعضاء الى العمل ، واما باطنيا بأن يقع التنبيه على المركز العصبي للحركة من الداخل مباشرة بوساطة عامل نفسانى باطنى ، كذكرى حادث مؤلم أو مخيف أو محزن أو سار ، فتظهر على الأعضاء نفس الأعراض الخاصة بكل عامل من هذه العوامل .

ولأجل تقريب ذلك للفهم يمكن من قبيل الفرض تشبيه الحوادث أو ذكرياتها بالتيارات الكهربائية ، وتشبيه الأعصاب بالأسلاك الموصلة للتيار ، ومركز الحركة سواء كان من المراكز الواقعة فى المخ أو فى الحبل الشوكى بالمركز « الدينامو » والحافظة بوعاء تخزن فيه السيالات الكهربائية للحوادث عند وقوعها كما تحفظ القوى الكهربائية فى البطاريات المربوطة بالمكثفات ، فاذا وقع حادث ما أو اصطدم باحدى الحواس الخمس كحاسة اللمس مثلا التى تكون بمثابة أحد قطبى الاتصال ، يمر السيال الكهربائى « بأعصاب الحس » ومنها الى مركز الحركة (الدينامو) فينتبه المركز المذكور ويقوم بأداء وظيفته وهى تحريك الأعضاء المسلط عليها ذلك المركز ويدفعها الى الحركة بواسطة الأعصاب المحركة .

فان كان الحادث مزعجا أو منفرا قامت الأعضاء المخصصة للدفاع عن الجسم بواجبها ، وان كان جذابا أو محرضا تولدت فيها الحركات الخاصة بالتعدى أو الهجوم ، وان كان سارا بدت على الكائن الحى علامات السرور والانشراح ، وان كان محزنا بدت عليه آثار البكاء والانقباض وهلم جرا .

ولكن مثل هذه الحوادث لاتمر عادة من غير أن تترك صورة خالدة فى الذاكرة ، وهى حكمة أودعها الخالق سبحانه وتعالى فى نفس المخلوق لكى يتخذ له منها عبرة وموعظة ، ولكى تكسبه فى

مستقبل حياته خبرة تقيه شر الوقوع في الخطأ أو الاندفاع الى مواضع الخطر مرة أخرى . فاذا مالمس الطفل النار مرة ولذعته رسخت هذه الذكرى المؤلمة في ذهنه لكي لايلمس النار مرة ثانية ، فاذا وقع بصره عليها ولو عن بعد تنبهت لديه ذكرى الألم ، بل ربما تقلصت عضلات جسمه في موضعها السابق فلا يقربها ، ولعل الكثير منا لاحظ كيف تتقلص عضلات المعدة ويعترينا تهوع وغثيان قد يعقبها قيء أحيانا بمجرد وقوع بصرنا على دواء أو شراب علمنا بالخبرة انه كريه الطعم ، بل ربما كان مجرد تذكره كاف لدى البعض منا لاحداث هذه الأعراض .

مما تقدم يتبين لنا كيف أن صور الحوادث تحفظ في المخ ، وفوق ذلك فان الشواهد كلها تؤيد أنها لاتحفظ فيه فقط لمجرد الحفظ بل تحفظ فيه بترتيب ونظام ، كما لو كان لكل نوع منها مستودع خاص به يشحن بجانب من السيال الكهربائي لكل حادث حال مروره بالأعصاب واشتغال المحرك ، وذلك حتى يسهل الرجوع اليها اذا دعت الحاجة الى الحكم على أمر من الأمور عن طريق الموازنة والقياس .

فاذا أوقظ في الذهن نوع من الخواطر أو الذكريات اندفع السيال الكهربائي من المستودع الخاص بذلك النوع الى مركز الحركة ليقوم هذا بتنبيه أعضاء الحركة الخاضعة له ، وهذا مايعبر عنه بحسب الاصطلاح العلمي أو الفني بالدافع الذاتي .

انما لايفهم من ذلك أن هناك اتصالا دائما بين مستودعات الحوادث وبين المحرك لكي يكون التنبيه واقعا باستمرار على مركز الحركة ؛ بل هذا الاتصال مقطوع كما لو كان في طريق الأعصاب الموصلة بينهما زر كهربائي قاطع للتيار لايتصل الا اذا امتدت يد عامل من العوامل المنبهة الى وصله حتى لايتحمل الانسان في حياته أوجاع مصائبه بغير ضرورة أو مقتض ولا ينوء تحت عبء مايحمله في ذاكرته من مجموعة آلامه وأوصابه التي انتابته في ماضي العمر .

فاذا ما ضغطت يد العامل المنبه « زر » الاتصال ، اتصل التيار وانطلق من المستودع بعض الشحنة الى مركز الحركة ، وعندئذ تتكرر الانفعالات الخاصة بهذا النوع من الحوادث في صورة قد تكون مخففة نوعاً مما لو كان الحادث محققا كما لو كانت المكثفات فقدت بمرور الزمن جزءا من قوة كهربائيتها .

وانى لا أبغى أن ابتعد كثيرا عن جوهر الموضوع وهو ماللانفعالات النفسية من الارتباط بالجرائم فلم يحملنى على هذا الاسهاب الذى قد يكون مملا الا الرغبة فى تعليل آثار تلك الانفعالات وردها الى أسبابها الطبيعية حتى يمكننا فهمها علميا والاستفادة منها عمليا ، ولكنى قبل أن أنتقل الى جوهر الموضوع أريد أن أدفع مقدما اعتراضا طالما سمعته من الكثيرين وهو ان المجرم الماهر المدرب الذى ماتت من قلبه كل عاطفة قد يستطيع استخدام كل ما أوتى من قوة فى أن يخفى عواطفه فلا تبدو عليه آثار الانفعال .

أجل قد يكون من الهين عليه أن يخفى الآثار الظاهرة لحركاته وارشاداته الخارجية أو يلطف كثيراً من حدتها بحيث لا تبدو محسوسة ، كما إنه ليس من المحتوم أن يبكى المرء عند الحزن أو يضحك عند السرور ، ولكن ليست الاعين والشفاه والايدى والارجل هى التى تشهد علينا دون غيرها ، فان هذه التزمت الصمت وقويت على الكتمان ، فهناك أعضاء أخرى لا سلطان لارادتنا عليها قد تكشف الستار بالرغم منا عن الرواية التى تمثل فى مسرح المخيلة ، وتنم عن تفاصيل المعركة التى تدور رحاها فى ميدان الضمير ، وكيفية ذلك أن فى الجسم نوعين من الاعضاء من حيث الحركة فالنوع الاول يتألف منه الاعضاء ذات الحركة الارادية أى الخاضعة فى حركاتها لمركز الارادة فى المخ ، كالأيدى والارجل والشفاه والجفون والعيون وغيرها من سائر الاعضاء التى يمكننا تحريكها أو ايقاف حركتها كلما أردنا ، والنوع الثانى يتألف من الاعضاء ذات الحركة غير الارادية كعضلات القلب المبطنة لجدران الاوعية الدموية والعضلات والانسجة الاخرى لبعض الاحشاء الصدرية والبطنية والحوضية وكذلك غدد العرق والدمع واللعاب وغيرها من الغدد ذات الافرازات المختلفة .

فالنوع الاول من الأعضاء خاضع فى حركته لجهاز عصبي يختلف فى نوعه عن الجهاز العصبي للأعضاء ذات الحركة غير الارادية ، ويسمى الاول « بالجهاز العصبي الارادى » والثانى « بالجهاز العصبي الذاتى » ، والاول مراكزه العصبية واقعة فى منطقة الحركات الارادية من المخ ، والثانى مراكزه العصبية بعيدة عن مراكز الارادة مقطوع الاتصال بها ، ومعظم هذا الجهاز الاخير مؤلف من سلسلة من العقد العصبية واقعة على جانبي العمود الفقرى (ومعروفة باسم العظيم السمبتاوى) وبعض عقد أخرى كائنة فى الدماغ ، والبعض الآخر فى جدران نفس الأعضاء المسلطة عليها هذه المراكز كما فى القلب .

فالفرق بين هذين الجهازين جلى واضح من حيث التأثير فى حركات الأعضاء ، فان كان فى وسعنا أن نحتم أيدينا وأرجلنا عن الحركة أو ابداء أى اشارة تنم عما تبطن فى نفوسنا ، فمن الذى يستطيع منا أن يغير بارادته دقات قلبه وسرعة نبضه ودرجة امتلائه وقوة ضغط دمه وكمية افراز غدد من غدد جسمه أو حركات أمعائه أو أحشائه الباطنية أو درجة حرارة جسمه ؟ فاذا كان ليس فى وسعنا ذلك وعلمنا بالتجربة والمشاهدات أن لكل انفعال نفسانى آثاراً خاصة به ومميزات تسجلها علينا أعضاؤنا المتمتعة بالحركة الذاتية كما يسجل الترمومتر والبارومتر درجات الحرارة والرطوبة ، وان أمهر ممثلى العالم مهما بلغ من الدربة والحنكة لا يقوى على سترها واخفائها ، ألسنا نجنى من وراء دراسة هذه الآثار وكشفها أجل فائدة عملية ؟ وأنه بقدر ما يوجد لدينا من الآلات المتقنة الصنع التى بها يمكننا رصد حركات الاعضاء الباطنية بدقة بقدر ما يسهل علينا كشف ما يجول بخاطر المتهم الموضوع تحت الاختبار واستخراج مكنون أسراره . وإن آلات كهذه يكون مثلها كمثل المجهر الذى يكشف لنا أنواع الجراثيم ودقائق الأنسجة الخافية بالجسم فى تشخيص الحالات المرضية ؟

وقد أجرى علماء النفس تجارب عديدة بالطرق الفنية الصحيحة فوجد بالاختبار أن لكل حالة نفسانية تأثيرا خاصا على حركات التنفس والنبض والدورة الدموية وغير ذلك ، بحيث اذا قيست تلك الحركات بدقة ودونت فى شكل موجات بوساطة الاجهزة المخصصة لذلك والمعروفة لدى علماء الفزيولوجيا أمكن بكل سهولة تشخيص الحالة النفسية المتسلطة على الشخص وقت الاختبار ومعرفتها بدقة ؛ فلأجل قياس التنفس وضع جهاز يسمى النوموجراف Pneumograph وهو اسطوانة حلزونية من السلك مكسوة بغلاف رقيق من الكاوتشوك تربط على الصدر بحيث أن أقل حركة فى التنفس تؤثر فى طول الاسطوانة فتنكمش أو تتمدد بحسب حالتى الشهيق والزفير ، وفى نهاية الاسطوانة أنبوبة رقيقة من المطاط وفى طرفها « ترمسة » مجوفة صغيرة من المطاط كذلك ، وهذه يرتكز على أحد سطحيها ذراع صغير يعلو وينخفض مع سطح « الترمسة » عند انتفاخه أو انبطاحه تبعا لدرجة امتلائها بالهواء القادم من الاسطوانة عند انكماشها أو تفريغه منها عند امتدادها . وهذا الذراع الصغير مسلط على ذراع أطول منه بمثابة مؤشر أو عقرب طويل لكى يضاعف حركة الذراع الصغير ويكبرها حتى بذلك تبدو أخف الحركات كبيرة واضحة ، والمؤشر أو الذراع الكبير تارة يكون من كباعلى

وجه لوح مدرج لقياس حركات التنفس وتارة يكون طرفه مسلطاً على شريط من الورق ملفوف على أسطوانة ذات حركة آلية بطيئة منتظمة ويكون طرف المؤشر مغموساً فى الحبر لكى يرسم على سطح الشريط الموجات الناشئة عن حركات التنفس من شهيق وزفير ، وقد دل الاختبار على النتائج الآتية:

فى حالة السرور يسرع التنفس ويصير خفيفا (تأمل الضحك)
« « الحزن يبطىء « « عميقا («فى التنهد)
« « الغضب يسرع « « قويا
« « الهبوط يبطىء « « خفيفا

ويعمل تجارب على النبض بوساطة جهاز معروف باسم سفجموجراف Sphygmograph وهو جهاز بنى على نظرية شبيهة بنظرية البنوموجراف تقريبا ، يركب فوق المعصم عادة ، حساس لنبض الشريان الكعبرى .

فوجد أن فى حالة السرور يبطىء النبض ويصير قويا .
« « « الحزن يسرع « « ضعيفا
« « « الغضب « « « قويا
« « « الهبوط يبطىء « « ضعيفا

وهناك أيضا جهاز يسمى « بالبلثزموجراف Plethysmograph » لقياس مقدار توارد الدم فى عضو من الاعضاء وهو عبارة عن اسطوانة من الزجاج تملأ بالماء ويغمر العضو المراد اختباره كالساعد مثلا ويحكم سد فوهتها بمعجون يمنع تسرب الماء وبها ثقب متصل بأنبوبة رقيقة من المطاط فى نهايتها « ترمسة » صغيرة من المطاط مسلطة على عقرب يتبع فى حركته ضغط الهواء الذى يرد الى « الترمسة » ، فأقل زيادة فى توارد الدم فى العضو المختبر يظهر أثرها فى كمية الماء التى تملأ الاسطوانة فيرتفع الماء قليلا وبذلك يضغط كمية الهواء التى بداخل الانبوبة وبالتالى « الترمسة » فتنتفخ هذه الاخيرة قليلا فيتحرك العقرب . وقد وجد بالتجربة أن لكل انفعال تأثيرا خاصا فى كمية الدم التى توارد على ذلك العضو الموضوع تحت التجربة .

كذلك تظهر آثار الانفعالات النفسانية فى حركة الساق الناشئة من الدق على وتر الركبة بتأثير

الفعل المنعكس ، بمعنى أن الزاوية التى تتكون من هــذه الحركات وجدت تختلف درجتها باختلاف الحالات النفسية المتنوعة بمعنى أن لــكل حالة منها زاوية خاصة بها . وقد استخدم لذلك جهاز خاص ذو مطرقة صغيرة تدق على ذلك الوتر دقات متساوية القوة فى فترات منتظمة ، ثم رصدت الحالات النفسية المختلفة حال اجراء هــذه العملية : وعلى هذا القياس قيست معظم حركات الجسم وسكناته .

* * *

وقد وضع العلامة هوجومنستر برج أستاذ علم النفس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة وأحد أعلام علم النفس العملى الحديث بعض تجارب قيمة فى هذا الموضوع وذات فائدة عظمى أنقل بعضها لأهميتها :

التجربة الأولى — جاء بلوح مركب على أربعة « بيل » يتحرك على سطح أملس ، ليكون اللوح سهل الحركة ما أمكن ، ثم كلف الطالب المراد اختباره بأن يضع يده على اللوح المذكور بعد أن حمل ذراعه بالقرب من المرفق بحامل متصل بحبل معلق فى السقف لتكون يده مطلقة الحرية فى التحرك الى أى اتجاه كان ، واستحضر عدة بطاقات مكتوب على كل منها حرف معين من الأحرف الهجائية واختار من بينها حرفا عرضه على الطالب وكلفه أن يحصر ذهنه فيه جيدا ، وبعد ذلك وضع الحرف بين باقى الاحرف التى صفت فى شبه نصف دائرة حول اللوح الذى عليه يد الطالب ، فلاحظ أن يده تحركت فى اتجاه مكان الحرف الذى كان حصر فيه ذهنه ، ولما نقل الحرف المذكور من مكانه تحركت اليد ثانيا فى اتجاه المكان الجديد لذلك الحرف ، وهكذا كلما غير مكان الحرف تحركت يد الطالب نحو المكان على غير قصد منه ، ومن ذلك علم الأستاذ منستربرج أن هناك صلة بين حركة اليد وبين الحرف الذى ارتبط به ذهن الطالب ، وقال انه لو جىء قياسا على ذلك بمجرم ينكر سلاحه الذى وجد بمحل الحادثة ، ووضع هذا السلاح بين عدة أسلحه أخرى فى شبه نصف دائرة حول ذلك اللوح الذى يكلف الجانى وضع يده عليه وشوهدت يده تتبع فى اتجاهها مكان ذلك السلاح دون سواه لدل ذلك على أن للمتهم صلة بالسلاح المذكور : وقد اطلق على هذا الجهــاز البسيط اسم اتوماتوجراف Automatograph أى كاتب الحركة الذاتية ، لانه ركب فى طرف اللوح جهازا يسجل

اتجاهات الحركة على قطعة من الورق أسفل اللوح .

التجربة الثانية — قد علمنا فيما مضى ان حالة الخوف ينشأ عنهـا تقلص فى عضلات الجسم وبالأخص عضلات أعضاء الحركة ولذلك قد استخدم الدكتور منستربرج كرة من المطاط متصلا بها أنبوبة رفيعة فى نهايتها « ترمسة » صغيرة من المطاط أيضـا والترمسة مسلطة على ذراع صغير متصل بذراع كبير يعظم الحركة مركب على لوح مقسم ، بحيث ان أقل انقباض فى الاصابع يحدث ضغطا على الكرة التى فى قبضة اليد يظهر أثره مكبرا على اللوح بوساطة المؤشر . فاذا ذكر امام المتهم اسم المجنى عليه أو اسم متهم آخر كان شريكا له فى الجريمة بين عشرين اسما مثلا لأشخاص آخرين ولوحظ أن المؤشر تحرك عند ذكر اسم المجنى عليه أو الشريك دون باقى الاسماء أمكن أن نستنبط من ذلك وجود علاقة بين المتهم والشخص المسمى بالرغم من تجاهـله اياه ، وماذلك الا بسبب كون سماعه هذا الاسم أحدث فى نفسه انفعالات شبيهة الخوف ، فتتقلص عضلات اليد والاصابع فيضغط الشخص على غير قصد منه وبدون انتباه الكرة التى فى يده ، فيضغط الهواء الذى فيها ويملأ الترمسة فتنتفخ وبذلك يتحرك المؤشر .

التجربة الثالثة — لاحظ منستربرج أن كرة العين نوعا من الحركة قد يكون مستقلا عن ارادة الشخص وقصده فتتحرك فى اتجاه معين وهو لا يعلم من أمرها شيئا ، ولاثبات ذلك قد جهز بطاقات كتب على كل منها كلمة ذات تأثير خاص فى نفس الطالب الذى ستجرى معه التجربة ، وأخذ يعرض عليه الكلمات تباعا بعد ان اتفق معه مبدئيا على أمور معينة ، وهى ان يقرأ الطالب الكلمة التى تعرض عليه ويتأملها ثم يغمض عينه ويدير وجهه الى أحد الجانبين قليلا ثم يفتح عينيه فى الحال ، فلاحظ أنه فى الكلمات الاعتيادية كانت كرتا العينين تتبعان فى اتجاههما اتجاه الوجه أثناء تحوله عن مكان الكلمة المعروضة ، أما الكلمة ذات التأثير الخاص فانه عند عرضها لاحظ أن كرتى العينين لا تزالان فى اتجاه تلك الكلمة بالرغم من تحول الوجه عنها الى جانب آخر كما تبين له ذلك من مشاهدة عينى الطالب حال فتحه جفنيه عقب ادارته وجهه ، وقد كرر الاستاذ التجربة مرارا فكانت النتيجة واحدة فى كل مرة ، ومن ذلك أيقن ان للكلمة ذات الاهمية الخاصة تأثيرا خاصا فى حركات العينين واجتذابها الى مصدرها حتى ولو ادير الوجه الى اتجاه آخر

فلو كنا فى المسائل الجنائية نعرض تباعا على المتهم الموضوع تحت الاختبار عدة اسلحة مختلفة من بينها السلاح الذى وجد فى محل الحادث ، وظهر لنا اثناء اجراء التجربة على الوجه السالف الذكر أن لهذا السلاح وحده دون باقى الاسلحة التى عرضت على المتهم نفس الاثر الذى للكلمة الخاصة لدى الطالب ، بمعنى ان ابرة عين المتهم لم تتحول عنه بالرغم من ادارته وجهه الى اتجاه آخر ، كان ذلك دليلا على وجود علاقة للمتهم بهذا السلاح رغما من انكاره ملكيته وتجاهله إياه

التجربة الرابعة — وهى ان يؤتى بلوحين من النحاس كل منهما متصل بأحد طرفى سلك كهربائى متفرع من بطارية كهربائية وفى طريق التيار جلفنومتر دقيق (وهو عبارة عن جهاز ذى ابرة مغناطيسية لقياس مقدار مقاومة التيار) ويضع المتهم المراد اختباره احدى يديه على لوح والاخرى على اللوح الاخر ثم تذكر له عدة أسماء شريكه فى الجريمة او اسم المقتول مثلا ، فيشاهد أن ابرة «الجلفانومتر» تتحرك عند ذكر أحد هذين الاسمين دون غيرها من الاسماء الأخرى ، وهكذا كلما أعيدت التجربة كانت النتيجة ثابتة ، ومن هذا يستدل على وجود ارتباط بين المتهم وبين الشخص المسمى • كذلك الحال لو ذكر أمامه من يدعى جهله او انه لا يهمه ولوحظ تحرك عقرب المقياس فان ذلك يدل على كذبه فيما يدعى .

وانى لأخال القارىء يساوره الشك والدهشة ، ولكن على حد المثل السائر «اذا ظهر السبب بطل العجب» ، فتعليل ذلك ليس بالأمر العسير ، فكلنا نعلم من أيام المدرسة انه اذا احرج أحدنا أثناء الامتحان بسؤال صعب أو وجهت اليه من الممتحن كلمة أو عبارة محرجة أخذ العرق يتصبب من جبينه ، وما ذلك الا لكون السؤال أو الكلمة المحرجة تبهت غدد العرق الى العمل ، فيكثر افرازها ، كذلك الحال بالنسبة للمتهم الذى ذكر أمامه اسم شريكه فى الجريمة او ذكرت أمامه أمور لها ارتباط بالواقعة أو بتفاصيلها او طريقة ارتكابها ، فانه بالرغم من تظاهره بعدم المبالاة وتصنعه الجهل لما يلقى على سمعه ، نرى عقرب «الجلفانومتر» ينحرف عن موضعه ، لأن سماعه هذه الوقائع ينبه من مجموعه العصبى المراكز المتسلطة على غدد العرق حيث توجد فى راحة اليدين بكثرة فيزيد افرازها وبذلك تزيد قوة مقاومة التيار الكهربائى فيتحرك العقرب

ومهما يكن التنبيه ضعيفا والزيادة فى افراز الغدد العرقية طفيفة فانها تكفى لان يظهر اثرها فى

التيار الكهربائى حال مروره فى جسم المتهم وقت الاختبار ؛ كما قد يكون لافراز الغدد الصماء بتأثير الانفعال النفسى شأن يذكر فى تغيير مقاومة التيار الكهربائى حال مروره بالجسم

* * *

ومن ذلك نرى كيف ان استخراج مكنون الفكر قد يكون بطرق هى فى حد ذاتها على جانب كل البساطة غير أن مقاومة المتهم لنتائجها تكون مع ذلك خارجة عن طاقته البشرية وفوق متناول من ما اوتى من عزم وارادة وانه لا يقوى على سترها مهما حاول اخفاءها

فثل هذه الوسائل لو هذبتها الأيدى العالمة العاملة وارتقت مع توالى الأزمان جريا على سنة الرقى الطبيعية لجميع الأشياء لابد أن تصبح يوما ما كأداة نقرأ بها أفكار غيرنا كما لو كنا نقرأ كتابا؛ ومع ذلك فانى أرى أن علم النفس العملى فى الوقت الحاضر قد يؤدى لنا خدمات جليلة القصد عظيمة الفائدة فى التحقيقات الجنائية .

ورب معترض على هذا يقول كيف يعتمد القاضى فى حكمه بادانة متهم على مجرد استنتاجات ناقية كظواهر الخوف والاضطراب التى تبدو على شخص متهم بجريمة ، فى حين أنه كما يمكن تعليل هذه بأنها نتيجة ارتكاب الجرم يمكن كذلك تعليلها بأنها نتيجة ارتباك البرىء ورهبته موقف الاتهام ؛ وهو اعتراض طالما كنت أسمعه من الكثيرين . ولكن هذا خطأ محض فى فهم المراد باستخدام علم النفس فى التحقيق الجنائى .

فليس هذا هو الغرض المقصود من القول باستخدامه عمليا فى وقتنا الحاضر ؛ فانه بالرغم من أن علم النفس الحديث مؤسس على قواعد علمية صحيحة نتيجة الاختبارات المتكررة والتجارب الطويلة وبالرغم من كونه قطع شوطا بعيدا فى مضمار الرقى بجانب العلوم الطبيعية الأخرى ، وبلغ شأوا عاليا فى معارج التقدم والفلاح ، فانه لم يصل بنا بعد الى الدرجة التى يمكننا معها استخدامه كفاية فى ذاته لاقامة الدليل على متهم ليس عليه أى برهان آخر ، ولكن ذلك لا يمنع من استخدامه فى الوقت الحالى كمجرد وسيلة للوصول الى الأدلة المعتبرة أمام المحاكم الآن ، والتى تثبت الجريمة على المتهم بالبرهان المقبول قانونا أمام القضاء ، ولست أرى أى محل للاعتراض على ذلك متى كان المتهم لديه الضمان الكافى بأن الذى ستقبله المحاكم فى اثبات التهمة عليه انما هو نفس الأدلة وأوجه الاثبات

العادية التى اصطلح عليها القضاء ، وانه لم يكن الغرض من استخدام علم النفس الا كواسطة للوصول الى تلك الاثباتات القانونية ، وهناك فرق عظيم بين اعتباره كواسطة للوصول الى غاية معينة وبين اعتباره هذه الغاية نفسها ، وحسب القارىء الحادثة التالية التى أذكرها بهذه المناسبة على سبيل المثال لتكون بمثابة برهان حى ودليل على محسوس ، وهى تتلخص فى أنه فى عام سنة ١٩١٤ وقع حادث شروع فى قتل باحدى القرى التابعة لمركز السنبلاوين ، وملخصه أن شخصا من الأهالى أطلق عليه عيار نارى من يد مجهول حال خروجه من القرية قاصدا غيطه وكان الوقت قبيل العشاء ، وقد أطلق العيار من مزرعة على جانب الطريق ، فأصيب المجنى عليه فى ساعده الأيسر ، ولما كنت وكيلا لنيابة ذلك المركز وقتئذ فقد قمت للتحقيق ، وفى خلاله حامت الشبهة حول شخص كان خطيبا لزوجة المجنى عليه ، ولكن والدها أبى أن يزوجها منه لسوء سلوكه وزوجها من المجنى عليه .

أخذت فى البحث عن هذا المتهم فوجدته فى مكان يبعد عن مكان الحادث بمسيرة ربع ساعة وهو يروى زراعة كان مميا خفيرا عليها وكانت بيده عصا ، وقد شهد اثنان من أهالى القرية بأنهما رأياه عقب سماعهما العيار يسير على شاطىء الترعة متجها نحو المزرعة التى وجد فيها ، وكان مجدا فى السير قليلا وبيده تلك العصا ، ولما كان المتهم خفيرا خاصا لزراعة بعض الأعيان ومرخصا له بحمل السلاح فقد سئل بطبيعة الحال عن سلاحه : فادعى فقده من عشرين يوما ، غير أن الشهود شهدوا بأنهم رأوه يحمله قبل الحادث بيوم واحد ، ولكن نتيجة التحقيق لم تتقدم بعد ذلك خطوة واحدة ، فى حين أن ماوصلت اليه من الأدلة لم يكن سوى شبهات لاتكفى لادانة المتهم قانونا ، غير أنها كونت عندى شبه عقيدة بأنه هو الفاعل ، ولذلك حصرت اهتمامى فى البحث عن السلاح ، لأنه كان الطريق الوحيد المفتوح أمامى للبحث . وبعد قليل من التأمل لاح لى أن السلاح لم يخبأ فى القرية وأن البحث عنه فيها عقيم ولابد أنه يكون خارجها ، لأن المتهم لم يكن لديه من الوقت مايكفى للعودة اليها بعد الحادث كما هو ظاهر من الوقائع المتقدمة ، وبطبيعة الحال أرجأت التفتيش إلى الصباح ، لأن البحث عن السلاح فى وسط المزارع والغيطان ليلا ضرب من العبث . فوضعت الحرس الكافى حول تلك المزارع لكى لايقربها أحد .

ولما طلع النهار خرجت لاجراء البحث والتفتيش وبصحبتى المتهم كعادتى عند كل تفتيش

لعلى استفيد مما قد يبدو عليه من التأثيرات النفسية حال اجراء البحث ، اذ كان يساعدنى أحيانا فى الوصول الى غايتى ، ولكنى بمجرد أن خرجت من القرية وقفت برهة حائرا لانى وجدت أمامى ميدانا للتفتيش متسع الارجاء مترامى الاطراف . وانى لى أن أهتدى الى المكان الذى خبأ المتهم سلاحه فيه ، وأن التفتيش فى الخلاء يتطلب عناء شديدا ومجهودا عظيما قد يستغرق كل نهارى ولا أصل الى نتيجة ما ، وبينما أنا مسترسل فى أفكارى وحيرتى ، اذ تذكرت فى الحال بعض تجارب العلامة منستربرج بشأن ضربات القلب وتأثير الانفعالات النفسانية فيها ، فوضعت يدى على المتهم ، وبينما كنت ممسكا بمعصمه وضعت ابهامى خلسة على الشريان الكعبرى (وهو الذى يجس منه الاطباء عادة) بعد أن تملكت موضع النبض منه جيدا وأصبحت دقات قلبه تحت اشرافى ومراقبتى ألقيت عليه عدة أسئلة متتابعة بشأن محل اخفاء السلاح ، وعددت الامكنة التى يحتمل أن يكون أخفاه فيها ، فذكرت له بعض المزارع ثم ساقيته الخاصة ثم الترعة ، فالقناة فالمصرف وهكذا ، فلاحظت أن النبض عند ذكر المصرف كان يشتد ويسرع كثيرا ، واذا ما حولت الكلام عنه الى أماكن أخرى كان النبض يهدأ ويكاد يعود الى حالته الطبيعية ، وهكذا كلما ذكرت له المصرف يعود النبض فيقوى ويسرع ، وكان أثر الانفعال محسوسا لدرجة أثارت دهشتى ، وكانت دقات قلبه قوية واضحة حتى خيل الى انى أسمعها من صدره ، فترجح لدى أن المتهم ألقى سلاحه فى ذلك المصرف ولكنه مصرف عميق متسع العرض ممتد الطول والبحث فيه شاق ، فضلا عن أنه يستلزم مهارة فى الغوص . ففى أى مكان منه ألقى المتهم سلاحه ؟ — ان هذه لمعضلة ثانية . ولكن بعد أن قدحت زناد الفكر قليلا أمكننى تعيين ذلك المكان وتحديده بوجه التقريب ، والفضل فى هذا راجع الى العصا التى كانت بيد المتهم ، فهى التى أشارت لى ودلتنى الى موضعه . وتفسير ذلك أن للمتهم ساقية خاصة على مقربة من المصرف وقد اعتاد أن يترك عصاه فيها حينما كان يحمل بندقيته فى أثناء الحراسة كما علمت ذلك اتفاقا من التحقيق ، فالعصا كانت اذن عند ساقيته وقت ارتكابه الجريمة ، ولم تكن معه بطبيعة الحال لانه كان يحمل سلاحه ، وبعد ان اطلق العيار فر هاربا نحو الساقية وتناول عصاه منها ، كما هو ظاهر من وجودها معه عند ضبطه . ولما كانت الساقية ملكه الخاص فهو لا يخاطر بالقاء سلاحه فيها ، وأنا أول شىء يتبادر الى ذهنه هو المصرف لقربه وصعوبة انتشال

البندقية منه نظرا لعمقه ، ولما كان الجانى شديد الرغبة عادة فى التخلص من سلاحه باسرع ما يمكن فان أقرب مكان من المصرف اليه فى الواقع اتجاه الساقية هو المكان الذى يتبادر الى الذهن أنه ألقى سلاحه فيه، حتى يصبح حرا طليقا من الدليل الخطير الذى يحمله بين يديه ، وعلى أثر مرور هذه الخواطر ملت الى مأمور المركز وعينت له المكان الذى يجب البحث فيه أولا ، ولكن المتهم عندما رأى الرجال المكلفين بهذا البحث متجهين نحو ذاك المكان بدت على وجهه دلائل الارتباك والحيرة وشحب لونه وجف لعابه ، ولكى يدارى اضطرابه وقتئذ ويظهر عدم اكتراثه بما يجرى حوله أخذ يولى وجهه شطر موضع آخر ويحوله عن مكان البحث من المصرف ، ولكن بالرغم من كونه أدار وجهه فان كرتى عينيه كانتا لا تزالان فى اتجاه نفس ذلك المكان ، فازداد اعتقادى بوجود السلاح فيه وقوى أملى فى الحصول عليه ، وبالفعل لم تمض خمس دقائق فى البحث حتى انتشلت البندقية من قاع المصرف .

ان هذه المشاهدة البسيطة أثارت اهتمامى بعلم النفس التجاريبى وزادتنى ايمانا بجليل قدره ويقينا بجزيل نفعه حيث رأيتنى أحقق تماما تجربة من قبيل التجارب بغير الاستعانة بأية آلة أو جهاز خاص ، فلم أشأ أن أتركها تمر بدون أن يكون لها أثر رسمى ثابت ، فسجلتها فى محضرى الذى أخذت به محكمة الجنايات فيما بعد واعتمدت عليه فى ادانة المتهم ، وكنت من ذلك الحين أجد لذة مضاعفة وشوقا عظيما فى مطالعة ما كتبه علماء النفس فى هذا الصدد وتطبيق ما أقف عليه من المعلومات فى الحياة العملية .

ومما تقدم نرى كيف كان البحث عن سلاح المتهم فى ميدان مخيلته أسهل منالا وأقل عناء من البحث عنه فى ميدان الطبيعة الفسيح المتعدد الامكنة المتشعب الأرجاء .

فالتجارب النفسية قد تؤدى على تفاهتها وسهولة تناولها أجل الخدم للمحقق وأعظمها فائدة اذا عرف كيف يستخدمها وينتفع بها . ومن ذا الذى ينكر على علم النفس فضله على القانون وشدة حاجة رجال القضاء اليه فهو للمحقق كنبراس يضىء له ظلمة الحوادث ؟ فيستعين به فى أشدها غموضا على استجلاء غامضها ، كما أنه يكون له منه أداة ماضية يستخدمها فى هتك ما اسدل على بعض الجرائم من الأستار والحجب الكثيفة ، وبه يستعين القاضى على فهم عقلية كل متهم أو شاهد وفهم كثير

من الأمور والمعضلات التى يشكل على الكثيرين منا فهمها أو تحليلها تحليلا صحيحا ، فيكون له خير ضمان من الوقوع فى الخطأ أو الزلل ، وبه يستطيع أن يقدر العقاب المناسب لكل مجرم تقديرا صحيحا ، ويختار له أكثر أنواع العقاب ملاءمة لعقليته ، كما أن القاضى الفطن قد يستطيع به أن ينفذ الى خاطر الشخص فان كان شاهدا يتبين مواضع الصدق والكذب من شهادته ، أو كان متهما يقرأ ماسطرته يد الحوادث على صحيفة ضميره ويعلم منها ان كان مجرما حقا فيدينه ويتبين مبلغ تأصل الاجرام من نفسه أو بريئا فيقضى ببراءته .

وهو للمحامى أكبر عون على فهم حقيقة موقف موكله ودراسة عقليته بل وعقلية القضاة الذين يتولون محاكمته ، فيسهل عليه التفاهم معهم ومخاطبتهم بالأساليب والعبارات التى يسهل اقناعهم بها والتى يستطيع بها أن يبث الى أفهامهم كل مايجول فى خاطره من آراء ، مع مايعززها من الأدلة والبراهين ، وأن يبسط لهم بأسلوب شائق سهل الفهم عليهم كل مايحيط بموكله من الشئون والظروف والأسباب الموجبة لتخفيف العقاب عنه أو اعفائه منه اصالة .

فعلم النفس فى الواقع علم جليل القدر يحتاج اليه القاضى والمحقق والمحامى والطبيب والمربى والمعلم والسياسى والاقتصادى والموسيقى والمصور والشاعر والممثل والروائى والمؤرخ والحداد والنقاش حتى التاجر والصانع ، ويمكن اجمال مزاياه فى أوجز عبارة « بأنه لغة العقول » ، اذ به يمكننا أن نتخاطب ونتفاهم وبه يمكننا أن ندرسها ونقرأ مافيها ونقف منها على دخائلها وماتكنه من أسرار ، ونشخص أدواءها وما بها من علل أو شذوذ ، ونضع لها العلاج الذى يلائمها ويساعد على شفائها وتقويمها .

---

١٠٠ مليون جنيه للتجمل

ينفق الامريكيون على التجمل مائة مليون جنيه . منها ٦٠ مليونا هى ثمن المعاجين والمساحيق والطيوب والزيوت التى يراد بها التجمل وتشتريها النساء للاستعمال فى المنازل . ومنها ٤٠ مليونا تنفقها السيدات أيضا على حوانيت التزيين . وهذا المقدار الضخم من النقود قد يعد مالا ضائعا فى العبث والزهو . وهو كذلك ولكن الحضارة التى يصنع أبناؤها الاحذية ويكدسونها فى الوقت الذى لايجد فيه الفقراء حاجتهم منها لايسعها ان تعارض فى استهلاك مائة مليون جنيه فى العبث والزهو . ذلك لان كل معضلتها تنحصر فى الاستهلاك . فما دام هناك زهو يستهلك مائة مليون جنيه فهو عمل يفرج عن العاطلين ويقدم لهم عملا أو حتى عيشا يعيشون منه !!

حبة الفول تنبت



أول ماتنبت تنكسر القشرة ويخرج الجذير الصغير كأنه ذنب الخنزير



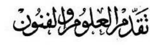
بعد أيام قليلة يتجه الجذر الى اسفل



ظهرت الساق فى اعلى



الساق تنحنى وتظهر الاوراق الأولى فى طرفه



حفائر الجامعة بتونة الجبل

يدير الدكتور سامى جبره الاستاذ بكلية الاداب حفائر جامعة فؤاد الاول فى منطقة هرمو بوليس المعروفة (بتونة الجبل) بقرب مركز ملوى فى مديرية اسيوط وقد وفق فى السنوات الثلاث الماضية الى كشف انفاق تحت الارض طويلة الامتداد تحتوى على جثث محنطة لطيور (ايبس) المعروفة باسم (ابو منجل) وعلى جثث محنطة لقرود كانت تعبد فى العصور المتأخرة من التاريخ المصرى القديم وفى عهد البطالسة

وقد علمنا أن بعثة الدكتور سامى جبره وفقت أخيرا الى كشف خطير يعتبر من الوجهة العلمية من أهم الكشوف الاثرية التى عثر عليها للآن

وفيما يلى بيانات خاصة بهذا الكشف

وفق الدكتور سامى جبره فى الشهر الماضى الى كشف قادوس مغلق بسدادة من طين ومكسور من أحد جوانبه وفيه ملف كامل من ورق البردى مكتوب بالخط الديموطيقى ويرجح انه كتب فى عصر البطالسة ويبلغ طوله نحو متر وربع وهو مكتوب من وجهيه

وقد حمل الدكتور جبره هذا الملف فى قادوسه الى متحف الجامعة ولحسن الحظ ان فى الجامعة الان عالما مصريا نابها فى قراءة النصوص الديموطيقية فاطلع على نصوص الملف اطلاعا مبدئيا وأسفر بحثه الاولى عن النتائج التالية :

ووجد على أحد وجهى هذا الملف نصوص القانون المدنى المصرى الخاصة بتحديد علاقات

اصحاب الاراضى مع المستأجرين وبطرق دفع الايجار بينهم وبتحديد التزامات المستأجر قبل المؤجر وقد سماها كاتب الملف بعقد (الملكية العقارية الثابتة)

ثم حدد فى نص اخر ملكية أصحاب الاراضى المقامة عليها مبان والتزاماتهم نحو الادارة الحكومية وسمى هذه الملكية (بالملكية العقارية غير الثابتة) نظرا لتغير حجوم البناء واشكاله وتناسب الضريبة المقررة عليه مع هذه الحجوم والاشكال

ثم نص اخر يدل على طريقة تأدية الشهادة أمام المحاكم ومسئولية مؤديها وما يترتب عليها من الالتزامات

والمرجح ان تكون نصوص مواد هذا القانون قد اقتطعها كاتب الملف من القانون المدنى المصرى الكامل الذى وضع فى عهد الملك (بوخور) فى العصر الصاوى الذى كانت فيه الاسرتان الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون والذى تحدث عنه المؤرخون اليونان كثيرا ولم تصل الينا نصوصه كاملة للان ولكننا نعلم أنه أصل التشريع فى العالم كله . ومن هنا جاءت أهمية كشف هذا الملف الذى سيضىء الجانب التشريعى فى المدنية المصرية القديمة

وعلى الوجه الثانى من الملف سجل الكاتب بعض رسوم هندسية لطريقة مسح الأراضى ومعرفة مساحتها بواسطة رسوم هندسية فوجدت مستطيلات داخلها مربعات ووجدت مثلثات داخلها دوائر وكلها تسجل مقاييس الاضلاع لحدود الاراضى وقد كتبت الى جوانبها أرقام حسابية تدل على أطوالها ونسبها

وقد عثر على هذا الملف فى داخل أحد الكهوف التى كانت تستعمل كدار محفوظات الموتى (أرشيف) تحت الارض الى عمق بعيد فى مدخل المنطقة المصرية القديمة المخصصة لعبادة الطائر (ايبس) الذى يمثل الاله (تحوت) اله الحكمة والعلم الذى كان يعبد فى منطقة الاشمونين (هرموبوليس) فى العصور المتأخرة فى تاريخ مصر

وفيما يختص بالطائر (ايبيس) الذى يمثل اله الحكمة والعقل ذكرت بعض النصوص القديمة وردده المؤرخ اليونانى المشهور (هربولو) ان المصريين قدسوا هذا الطائر لتماثل شكله حينما يطوى رقبته ومنقاره مع شكل القلب الانسانى الذى يمثل الحكمة والعقل الذى يدبر العالم كله

وقد عثر الدكتور جبره فى دار المحفوظات هذه على قواديس أخرى بها تماثيل كثيرة بينها تمثال بديع الصنع للطائر « ايبيس » مصنوع من حجر المرمر الاصفر النادر وقد صنعت رقبته ومنقاره وذيله من البرونز اللامع

ويحقق شكله المصنوع على شكل قلب إنسانى تماما فكرة قدماء المصريين فى تقديس وعبادة هذا الطائر فيكون كشف هذا التمثال ايضا خطوة جديدة فى التدليل على نظرية التقديس عند المصريين وتحميل كل فلسفهم نظرية الرمزية المعنوية

وبين ما عثر عليه الدكتور جبره ايضا تمثال من البرونز يبلغ حد الدقة والاناقة فى الصنع للاله « اوزريس » إله الموت وقدوقف أمامه كاهن مصرى يحرق البخور بين يديه تعبداً والتماسا للبركة وقد ظهرت نسبة حجم الكاهن للاله بصورة واضحة تدل على مراعاة نسبة المقاييس فى صناعة التماثيل فى مصر القديمة

ويوالى الدكتور سامى جبره الآن البحث عن المنطقة المصرية القديمة فى مقابر « تونة الجبل » ويرجع عهدها الى الدولة الحديثة والدولة الوسطى التى بدأ فيها عمران منطقة مصر الوسطى وكانت العاصمة فيها مدينة « الأشمونين » وقدبلغت من المدنية حداً جعل البطالسة يعودون اليها مرة أخرى كعاصمة للقطر فى اوقات متفرقة

البواسير

لاشك فى ان الكثيرين يعانون متاعب جمة من ويلات هذا الداء ؛ ولكن قل منهم من يعرف اصله ومنشأه . ولذا رأيت أن اعطى القارىء فكرة عن هذا المرض الواسع الانتشار ليتسنى له وقاية نفسه منه

تمهيد : من بديع صنع الله ان خصص لكل عضو من الجسم شريانا ينقل اليه الدم النقى ليغذيه ، ووريدا يحمل منه الدم الفاسد فيرسله الى القلب لينقيه . وتختلف جدر هذه الاوعية — من حيث متانتها — تبعا لمهمتها ؛ فجدار الوريد اضعف من الشريان واقل احتمالا للضغط منه . فاذا حال عائق

دون سير الدم في مجراه الى القلب ، احتبس الدم في العضو الذي يحتقن تبعاً لذلك وينتج عن هذا الاحتقان ازدياد الضغط على جدر الاوردة فتنتفخ وتتدلى ليتسنى لها احتواء هذه الكمية الاضافية من الدم

والشرج والمستقيم (الجزء الأخير من الامعاء الغليظة) كباقي اجزاء الجسم لها من هذه الاوردة ، بل تمتاز بأن نظام توزيع الاوعية فيها يسهل هذا الانتفاخ والتدلي مما ينشأ عنه المرض المسمى « البواسير »

انواعها : مما تقدم يتبين للقارىء ان البواسير ما هي الا أوردة محتقنة متدلية من المستقيم والشرج وهي نوعان :

١ — داخلية — وتكون مغطاة بالغشاء المخاطي المستقيم

٢ — خارجية — وتكون مكسوة بالجلد المبطن للشرج

ويختلف حجم الباسور ، فقد يكون صغيراً لا يظهر الا بالفحص الطبي ، أو كبيراً يتدلى من الشرج عند التبرز ويحسها المريض

اسبابها — تنشأ البواسير عادة من :

١ — الامساك المزمن مع تجمع الفضلات في المستقيم

٢ — الاجهاد (الحزق) في اثناء التبرز أو التبول او السعال

٣— كثرة استعمال المسهلات ولا سيما العقاقير القوية كالحنظل والسلامكي وغيرها

٤ — الوقوف الطويل مع ضعف وراثي في جدر الاوعية

٥ — الافراط في تعاطي المشروبات الكحولية

٦ — تكرر الحمل والولادة ، حيث يصحب الوضع اجهاد شديد

على أن هناك اسباباً اخرى أقل اهمية من هذه واندر حدوثاً اذكر منها :

١ — امراض موضعية كالتهاب المستقيم والقولون وسرطانهما أو تضخم البروستاتا في الشيوخ

٢ — تليف الكبد كنتيجة لكثرة تعاطي الخمور او الاصابة بديدان البلهارسيا

اعراضها : اولى علامات البواسير هي ظهور دم مع البراز ، ولا يلبث المريض طويلا حتى يشعر

باستقبال فى الشرج ، واكلان حول فتحته مع انسكاب افرازات مخاطية . فاذا ما تضخمت البواسير وتدلت من فتحة الشرج أمكن للمريض ان يحسها . ويحدث الالم عقب التبرز عادة نظراً لاختناق البواسير بعضلات الشرج القابضة ، كما قد يدل الالم على حدوث تجلط بالدم الذى يملأ الباسور أو التهاب به

علاجها — يختلف تبعاً لحجم البواسير وحالتها ، وينقسم الى :

١ — علاج وقتى مسكن — ويفيد فى الحالات الحديثة الظهور والتى تعقب الولادة أو فى البواسير التى يحدث بها التهاب أو اختناق ويتلخص فيما يأتى :

ا — اعطاء المريض اكلا خفيفا — حتى لا تتجمع منه فضلات كثيرة — مع الاكثار من السوائل والفواكه

ب — منع تعاطى المسهلات القوية ، والاكتفاء بتناول البارافين (ملعقة او فنجان قهوة عند النوم) لتنظيم التبرز

حـ — استعمال المراهم او الاقماع (اللبوس) المحتوية على مادة الادرنالين والهماميلس لتساعد على ضمور الباسور

د — حمامات المقعد الساخنة ولاسيما فى الحالات المختنقة او الملتهبة

٢ — علاج بالحقن — ويفيد فى الحالات المبكرة التى لم يحدث بها التهابات ، ويتلخص فى حقن قاعدة الباسور بمحلول الفنيك للقوى فى زيت اللوز (٥ فى المائة)

٣ — علاج جراحى — وهو انجع الجراحات ، ويتلخص فى ازالة البواسير بالعمليات الجراحية فاذا شعرت ايها القارىء باعراض البواسير فلا تتوان فى استشارة طبيبك واتباع ما ينصحك به ، واذا اشار عليك باجراء عملية جراحية لاستئصالها فلا تتردد فى ذلك وتوكل على الله ، فان العملية سهلة ميسورة ونتائجها مضمونة واعلم ان فى ذلك حفظاً لصحتك ، وحقناً لدمك الذى ينزف تدريجيا ويسبب لك ضعفا وهزالا

محمد لطفى بيومى

العبرانيون

أين كانت الطريق التى سار فيها بنو اسرائيل عندما خرجوا من مصر

هذا السؤال قد عالجه كثيرون ومن هؤلاء جارفيس بك الحافظ السابق لمحافظة العريش وسيناء. يقول ان العبرانيين اتخذوا طريق الشمال لجزيرة سيناء بحذاء البحر . وان البحر الذى عبروه هو بحيرة البردويل والطريق عند البحر سهلة ليس فيها صخور ، أما طريق الجنوب فحافلة بالصخور . ويؤيد رأيه بان اليهود قضوا سنين كثيرة فى سيناء وهو يستنتج من ذلك انهم كانوا يزرعونها . والقسم الشمالى يزرع ويصيبه الغيث من وقت لآخر . أما القسم الجنوبى فلا يزرع

ولكن قبل أسابيع ظهر كتاب جديد للمستر لوكاس عن هذا الموضوع وهو يزعم ان بنى اسرائيل ساروا فى الطريق التى يسير منها الحجاج المسلمون فى وقتنا الحاضر عندما يتخذون الطريق البرى الى مكة . وهذه الطريق فى جنوبى سينا تبدأ عند السويس وتنتهى عند العقبة . وعنده ان البحر الذى عبروه هو بحيرة التمساح جنوبى الاسماعيلية

ولا يزال الموضوع قيد الابحاث

الغناء

لاحظنا فى مقال سابق ان غناءنا هو تثاؤب منغم ، أو بكاء ملحن ، فان الاثير المصرى يحمل كل يوم بل كل ساعة تموجات التثاؤب والبكاء على ايقاع الموسيقا . هذا من حيث الصوت . اما من حيث المعنى فانه لا يخرج عن الغرام وحرقة العشق والبعد (وهو هنا البعاد) وما إلى ذلك

وعندما نقارن بين أغانى الريفيين والسامر الذى ينعقد حول الرباب وبين أغانى القاهرة نجد الفرق واضحا وهو لا يشرف سكان القاهرة . فان العازف على الرباب لا يزال يذكر قصة أبى زيد الهلالى سلامة والزناتى خليفة وما كان لكل منهما من بطولة وشجاعة . وذلك كله فى خيال يستثير النفس ويبعث على الاقدام على ما فيه من مبالغات . فالعازف على الرباب يوحى الينا الشجاعة . وجماعة المغنين والعازفين فى محطة الاذاعة يوحون الينا الغرام وحرقته . فايهما أشرف ؟

ونحن نتأثر بالايقاع الموسيقى . وهو يوحى الينا . فاى ايحاء نريده لشباننا وبناتنا وسيداتنا ورجالنا هل الغرام أم الشجاعة ؟

الادب

اذا كان انتشار المجلات برهان الاقبال على مادتها فمن الحق أن نقول أن للادب هواة كثيرين . فقد ظهرت أو بعثت مجلة العصور بعد أن رقدت ثمانى سنوات . وهذه المجلة كان محررها الاستاذ اسماعيل مظهر وكانت تعنى بالعلوم أكثر مما كانت تعنى بالآداب

ولكنها بعثت قبل نحو أسبوعين على يد الاستاذ محمود محمد شاكر وهى أميل إلى الادب منها إلى العلم . وأدبها من الطراز العالى الذى لا ينزل إلى التسلية أو التهريج . ونخشى أن يكون رقيها هذا داعيا إلى شىء من قلة الرواج . والاستاذ م . م . شاكر معروف فى الاوساط الادبية بتعمقه فى الادب العربى ودراسته الفذة للمتنبى . وقد أخرجت مطبعة المقتطف هذا الكتاب فكان كشفا فى الادب العربى عن حياة هذا الشاعر العظيم

فاذا أضفنا إلى مجلة العصور تلك المجلة الأخرى التى تزمع لجنة التأليف والترجمة والنشر إخراجها وهى مجلة الثقافة فانه يجوز لنا أن نقول أن الادب العربى فى نهضة وأنه يجد الاقبال الذى يستحق

عقل العالم

تحت هذا العنوان وضع الكاتب الانجليزى المعروف ه . ج . ولز كتيبا يدعو فيه الى أن تتفق جميع الامم على تأليف موسوعة أى دائرة معارف يقوم بتأليفها علماء العالم من كل قطر . ثم تترجم هذه الموسوعة الى جميع اللغات الحية . فتكون بمثابة العقل الذى يفكر فيه أفراد الجماهير من جميع الامم . وهو يزعم انهم عندما يشتركون فى ثقافة عامة واحدة فانهم ينزلون على آراء مشتركة فى السياسة والاجتماع فلا يكون هناك مجال للخلاف الذى يحث على الحرب . أى أن المعارف الانسانية يجب أن تعبأ لخدمة الثقافة البشرية . وهو يقول « ان هذه الموسوعة تغدو وكأنها السند الذهنى الذى يستند اليه كل رجل ذكى فى العالم . وستكون حية لا تنقطع عن النمو أو التغير بالمراجعة والتنقيح . .

ويجب أن يتصل كل عقل جديد بالهيئة المنظمة لتحريرها »

وعنده ان مثل هذه الموسوعة يجب ان تطبع على مبدأ الورق السايب حتى يمكن تجديدها فى كل وقت أى يمكن أن تنزع ورقة وتوضع أخرى مكانها ، فلا يعاد طبع الموسوعة كلها بل تجدد صفحاتها من وقت لآخر ، والفكرة خيال جميل شريف ولكنه قد يتحقق يوما ما

الامراض فى انجلترا

جاءت «فى نيوز كرونيكل» هذه الاحصائية الهامة

كان مجموع الوفيات فى انكلترا فى العام الماضى ٤٩٥٫٧٦٤

وفى كل الف وفاة يذهب:

٣١١ ضحية امراض القلب :

١٣٤ ضحية السرطان

١٠٢ ضحية النزلة الشعبية او التهاب الرئة او غيرها من الامراض المتعلقة بالتنفس

٥٧ ضحية السل

كما أنه يستدل ايضا من الاحصاءات ان بعض الامراض آخذ فى الزوال

فقد توفى عام ١٨٣٧ ٥٥٨٤ بسبب مرض الاستسقاء بينما انجلترا لا تعرف اليوم هذا المرض

وتوفى عام ١٨٣٧ ٥٨١١ بسبب الجدرى بينما لم يمت أحد بالجدرى فى العام الماضى كله

وقد انخفض ايضا معدل الوفيات بسبب السل على انواعه وأشكاله انخفاضا عظيما فقد كانت نسبة المسلولين فى المليون فى بداية هذا القرن ١٧٣٩ فى المليون فاصبحت فى العام الماضى ٦٥٧ فى المليون

وكذلك انخفض معدل الوفيات من الحمى التيفوئيديه والبارتيفوئيدية من ١١٣ فى المليون عام ١٩٠١ الى ٢٫٣ فى المليون فى العام الماضى

اما ضحايا السرطان ففى ازدياد مخيف يبعث على التشاؤم فقد كان معدل الوفيات بالسرطان عام

١٩٠١ حوالى ٤٨٩ فى المليون فارتفعت النسبة الى ١٠١٠ فى المليون

وكذلك ارتفعت فى مرض البول السكرى «الديابيطس» من ٨٨ الى ١٠٨ فى المليون

وعلى كل حال فقد اتبعت الطرق الصحية التى تتبعها انكلترا فى تخفيض معدل الوفيات الناجم عن جميع الامراض انخفاضا محسوسا من ٣ر١٣ فى الألف عام ١٩١٠ الى ٣ر٩ فى الالف فى العام الماضى

اسماعيل

بمناسبة ازاحة الستار عن تمثال المغفور له الخديو اسماعيل نشر قليني فهمي باشا رسالة حوت بعض الذكريات عن هذا العاهل العظيم فكان مما ذكره أن اسماعيل :

١ — ارسل بعوثا متعددة من الطلبة إلى أوربا

٢ — كان أول من سن تعليم البنات بالمدارس

٣ — هو الذى أنشأ جسر قصر النيل « كبرى الخديو اسماعيل »

٤ — هو الذى شق طريق الهرم وشيد دار الاوبرا

٥ — أوجد حديقة الازبكية بالقاهرة وحديقة النزهة بالاسكندرية

٦ — أنشأ مجلس النواب الاول لمصر

٧ — جعل مصر مستقلة استقلالا داخليا من السلطة العثمانية

٨ — وصلت الجيوش المصرية فى عصره الى بحيرة فيكتوريا والحبشة

٩ — عم الزى الاوربى بين موظفى الحكومة

١٠ — سكب النقود المصرية فى عهده باسم مصر بدلا من اسم تركيا

هذا هو بعض ما ذكره قليني باشا عن ذكرياته الخاصة عنه

أخبار اجتماعية

الريف

الانجليز اكثر الامم تعلقا بالريف ورغبة فى زيارته والتمتع بمناظره . وربما كان السبب لذلك تغلغل الحركة الصناعية فى وسطهم وتفشى المصانع وما تبعث من ضجيج ودخان فى سماء المدن . فان الذى يعيش فى هذا الوسط يشتاق الى نسيم الريف وخضرته وسكينته . ويوم الاحد فى انجلترا هو يوم النزوح من المدن الى الريف

وقد عنى الجمهور فى انجلترا بالريف عناية كبيرة ، فأقام حركة كبيرة لمنع اقامة الاعلانات الصارخة على المناظر الريفية الجميلة لأنها تشوهها أو تنتقص من جمالها . وفى مجلس العموم الآن مشروع قانون يقصد منه الى اباحة التجوال والتنزه فى كل ارض ريفية تكون غير مزروعة . أى ان المالك لهذه الارض لا يمكنه ان يمنع الجمهور من الدخول فيها والتمتع باعشابها النضرة . والارض التى لا تزرع فى انجلترا تكتسى عادة بالاعشاب البرية الخضراء لأن الامطار توالبها وتبعث فيها الحياة أى أنها لا تكون أبدا قاحلة كما هى الحال عندما نهمل زراعة الارض عاما

ويبدو من أقوال الصحف ان هذا المشروع سيصير قانونا فى اقرب وقت

سجن فرسين

أنشأت الحكومة الفرنسية سجنا جديدا على النظام الحديث فى فرسين جاء فى وصفه ما يلى :

لكل سجين حجرة صغيرة يستقل بها وهى على غاية النظافة وفيها كل وسائل التدفئة وتجديد الهواء . ويشغل السجناء بصناعات مفيدة لا تقرز النفس منها ولا تفتك بالقوى . وقد أدركوا ان

مثل هذه الاعمال هي ادعى ما يكون الى تهذيب اخلاق المجرمين

وللسجناء كل يوم ساعة فراغ يستنشقون فيها الهواء الطلق ضمن دائرة السجن . ولدى كل سجين ما يلزمه للاغتسال يوميا وفي كل سجن مكتبة فيها الكثير من الروايات والمجلات والكتب العلمية والصناعية يتسلم السجناء يطالعونها كل يوم أحد . والغيت العقوبات البدنية الغاء تاماً . وليس لاحد من الحراس ان يرفع يده على سجين لاى سبب من الاسباب . ويكتفى لتأديب المذنبين بحرمانهم من النزهة ومكاتبة أقاربهم

ومرتكب الذنب الكبير يحكم عليه بالسجن في حجرة ضيقة مظلمة ، او بإرساله الى مكان التأديب حيث العقاب شديد ولكنه لا يتعدى دائرة المعقول المحمول ، وحيث يقيم السجين أياما معدودة تختلف في كثرتها وقلتها باختلاف ذنبه . وعلى طبيب السجن مراقبة هؤلاء المذنبين مرتين في الاسبوع على الاقل ولكل سجين الحق في الشكوى الى مدير السجن مما يلحقه من الجور

اصلاحيات الاحداث في ايطاليا

في مصر اصلاحية للاحداث تابعة لمصلحة السجون يرسل اليها الغلمان والفتيات الذين تتعدد جرائمهم وتحكم المحكمة بإرسالهم الى الاصلاحية ولا تنكر ان الاصلاحية المشار اليها جادة في تهذيب الاحداث الذين تضمهم وفي تحويلهم الى اشخاص نافعين وقد دلت الحفلات التى اقيمت لهذه الاصلاحية في الاسكندرية في الصيف الماضى على هذه الحقيقة

وقد وقفنا اخيرا على ما تصنعه ايطاليا لامثال هؤلاء الاحداث فاحببنا ان نترجمه للقراء ليطلع عليه ولاة الامور المهتمون بمستقبل الطفولة المشردة في مصر لعلهم يجدون فيه ما يحسن اقتباسه في هذا الشأن الجليل

ادخلت ايطاليا في سنة ١٩٣١ تعديلا على قانون العقوبات خاصا بجرائم الاحداث يقضى بانشاء محكمة مخصوصة لهؤلاء الاحداث وانشئت هذه المحكمة فعلا في سنة ١٩٣٤ والفكرة في انشائها مستمدة من مبدأ حديث اخذت به الحكومات وهو ان الحكومة لا يحسن بها ان تقتصر في اهتمامها بالاحداث على مجرد إنزال العقاب بهم بل يجب عليها بالاولى ان تهتم بتربيتهم من جديد تربية

تعيدهم الى سلوك الطريق المستقيم وتحبيبهم فى العمل الشريف والامانة

واسفر عمل هذه المحكمة المخصوصة فى السنوات الاخيرة عن ملاحظات هامة للتوفيق بين هذا النظام وحقائق الحياة وفعلا ادخلت تعديلات ووضعت نصوص تستطيع المحكمة بمقتضاها ان تسير على المبدأ المشار اليه وخلاصة التعديلات هى اولا ان يكون قاضى محكمة الاحداث متخصصا تخصصا علميا كاملا فى شؤونهم ونفسيتهم وثانيا ان يتجه العقاب الى غاية اخيرة هى تهذيبهم وثالثا ان ينشأ نظام لوقاية الاحداث من ارتكاب الجرائم ورابعا ان يسهل لهم الرجوع الى الحياة الاجتماعية من دون ان يحاسبوا على « سوابقهم » او يوجه اليهم عقل لماضيهم

وشرعوا فى ايطاليا كذلك فى انشاء معهد خاص تابع للمراكز التهذيبية سموه « مركز الملاحظة » والغرض من مراكز الملاحظة هذه هو جمع الاحداث المتشردين وايواؤهم ممن لا تزيد اعمارهم على ١٨ سنة سواء كانوا مقبوضا عليهم بواسطة البوليس او انهم ينتظرون نظر قضايا مرفوعة عليهم . وفى هذه المراكز يفحصون عن كل غلام وكل فتاة فحصا علميا ويدونون كل شىء عن حقيقة شخصيته وتاريخه ويشيرون بالوسائل التى يرونها ناجعة فى اصلاحه وارجاعه الى طريق الاستقامة ولكى يكون العمل فى مراكز الملاحظة منتظما رأوا أن يجعلوها تابعة لوزارة العدلية هى والمراكز التهذيبية

وخلاصة هذا النظام أن لا تكون الغاية الرئيسة من محاكمة الاحداث هو عقابهم بل اصلاحهم وتربيتهم وتهذيب أخلاقهم وفتح طريق حياة الجد والعمـــل أمامهم وهذا هو عين الغرض من التشريع المصرى ولكن الوسائل التى ابتكرتها ايطاليا لتحقيقه أوسع نطاقا ولعل الغلام المحكوم عليه هناك لا يشعر بأنه محسوب فى نظر الدولة مجرما أو متشردا بل يحس بأنه ابن من ابناء الدولة وانها مهتمة بتربيته ولعل هذا هو الذى يسمى اليه محافظ العــــاصمة ونعنى به سن تشريع يخول للدولة سلطة « الوالد » على الاطفال الذين ليس لهم والدون أو الذين يهملهم والدوهم ولا يهتمون أو لا يستطيعون تربيتهم . فان كان المحـــافظ ماضيا فى مسعاه فان فى الانظمة التى وضعتها ايطاليا ما هو جدير بالبحث والدرس لمعرفة ما يمكن الاخذ به منه

وعلى كل حال فان مسألة الطفولة المشردة عندنا يجب أن تنال من العناية فوق ما نالته الى الآن فان شؤون هذه الطفولة ما برحت متروكة لمساعى الافراد والهيئات الخيرية وليس عندنا تشريع جامع ينظم العناية بها تنظيما قانونيا ويجعل للحكومة اشرافا شاملا على أحوالها

قوانين الحرب

.... سرجمان مانتسى .... عندما تجد الامم المتمدنة انها أصبحت « غير رابحة »

« ٥ »

منذ آلاف السنين أصر الانسان على ضرورة الحرب واعتبارها من الشرور التى لاغنى عنهـا فوضع لها القوانين التى يؤكد حالة السلم انها نافذة وقوية وسيعمل بها فى زمن الحرب !

ويقول المؤرخ اللاتينى ليفى أن القوانين ينبغى ان تكون واحدة فى وقت الحرب أو السلم

ولـكن شيشرون يقول بان القوانين فى زمن الحرب تفقد نفوذها وتصبح لاغية ولانفع منها على الاطلاق

ومن ١٦١٨ — ١٦٤٨ وحرب الثلاثين سنة تفتك بالمانيا فتكا

وكانت هذه الحروب الـكاسحة والمجاعات واعمال السلب هى التى اهابت بالعالم الهولانـدى هوجو جروتس لان يضع اول نبذة عامة عن القوانين التى ينبغى اتباعها فى وقت الحرب

وقد اعتمدعليها اعضاء عدة مؤتمرات دولية وتوسعوا فى شرحها وزيادتها واهم هذه المؤتمرات هى:

مؤتمر باريس عام ١٨٥٦
مؤتمر جنيف عام ١٨٦٤
« « عام ١٨٦٨
« سنت تيسبرج عام ١٨٦٨
« لهاى عام ١٨٩٩
« وشنطون عام ١٩٢١
عصبة الامم منذ تأسيسها لليوم

ومما يجمل ذكره أن شريعة مانو الهندية قد حرمت استخدام السموم فى الحروب منذ ٢٠٠٠ عام وكانت الدول المتحدة تحرص على عدم استخدامها الى وقت قيام الحرب العالمية

وقد حرم مؤتمر وشنطون عام ١٩٢٢ استخدام الغازات الخانقة فى الحروب واشتركت ٤١ دولة

عام ١٩٢٥ فى امضاء الوثيقة المشتركة لمقاومة الدول التى تخالف الاجماع وتستخدم الغازات الخانقة فى الحروب

الاسكندرية

سبق ان ذكرنا ان الاسكندرية كانت العاصمة الحقيقية لمصر أيام محمد على وعباس فانه كان يقضى السنوات المتوالية هناك ولذلك سبقت الاسكندرية القاهرة فى التنسيق الحديث واتخذت الشكل الاوربى أكثر من القاهرة

ويفكر بعض الانجليز فى نقل عاصمة الامبراطورية البريطانية من لندن الى أوتاوا فى كندا باعتبار انها أقرب الى مركز الامبراطورية من لندن . وقد نقلت عاصمة ألمانيا الى برلين . ونقل الاتحاد السوفيتى عاصمته من بتروجراد الى موسكو

فهل بعيد علينا أن نتخيل — خيالا فقط — عاصمة مصر فى الاسكندرية حيث النسيم المنعش وماء البحر الازرق ، وحيث الصيف يمكن أن يحيا فيه الانسان ويعمل ولا ينام نصف اليوم أو يأرق ثلاثة أرباع الليل ؟

قد لا يليق هذا الكلام او هذا الخيال ونحن نوشك أن نحتفل بمرور الف سنة على تأسيس القاهرة . ولكن أليس لنا أن نتخيل كما يتخيل سوانا . . .

الشنق

قدم أحد الاعضاء فى مجلس العموم البريطانى رغبة — وليس مشروعا — لالغاء الشنق مدة خمس سنوات على سبيل التجربة . فاذا مرت هذه السنوات الخمس ولم يزد فيها العدد المئوى لجرائم الاغتيال فان الالغاء يصبح دائما فى المستقبل . أما اذا دلت التجربة على أن المجرمين قد تجرأوا وأقبلوا على الجريمة فان الشنق يعاد

وقد وجدت هذه الرغبة أكثرية موافقة . ولذلك سوف تحول الى مشروع قانون قريبا وعقوبات الاعدام بالشنق ليست كثيرة فى انجلترا وويلس . فقد بلغت ثمانى عقوبات سنة ١٩٣٥

وزادت الى تسع فى السنة التالية . وكانت فى العالم الماضى ثمانية فقط . وهـذا مع العلم بأن السكان يبلغون نحو ٣٥ مليونا (وليست اسكوتلاندا معدودة هنا)

وبكلمة أخرى نقول أن جرائم الاغتيال وعقوبات الاعدام عند الانجليز لا تبلغ نصف ما تبلغه عندنا ولا ثلثه مع اننا من حيث السكان لا نصل الى نصف عددهم

الايمـان

نشرت مجلة فورم الامريكية استفتاء قام به الدكتور ادامز بين طوائف العلماء عن الايمان بالله. وقد وجد أن علماء الطبيعيات والكيمياء والرياضيات والفلك تميل كثرتهم الى الايمان . أما علماء السيكلوجية فتميل كثرتهم الى الالحاد . وقد استنتج من هذا ان المتصلين بالسيكلوجية يعرفون عن العقل أكثر مما يعرفه غيرهم من العلماء . وهم لذلك لا يؤمنون

ولكن رد عليـه الدكتور براون فقال انه لا غبار على حقيقة الاستفتاء . ولكن الاستنتاج الصحيح ان علماء الرياضيات والطبيعيات والفلك يعالجون علوما قديمة راسخة قـد ثبتت قواعدها وتحققت نظرياتها . وهم لذلك يؤمنون بالله فى ضوء ما عرفوا من هذه العلوم . أما علم السيكلوجية فمن العلوم الجديدة التى لا تزال تعتمد على الفروض والمذاهب . ولذلك فان ما يقوله علماء هـذا العلم لا يمكن ان يعتمد عليه ولا قيمة له فى جنب ما يقوله علماء العلوم الاخرى

المواليد

يطلب هتلر من الالمان أن يبلغوا مائة مليون ، ويطلب موسولينى — فى تواضع — أن يبلغوا ستين مليونا . وكل من الحكومتين الألمانية والايطالية تؤدى اعانات كبيرة للمتزوجين . وهـذه الاعانات تبقى دينا قائما يجب أن يرد الى الحكومة اذا لم يثمر الزواج اولادا تزيد بهم الأمة

ونظام الاعانة فى ايطاليا يسير على النمط التالى

إذا كان الزوجان دون الـ ٢٦ فى العمر وكان دخلهما السنوى لايزيد على ١٢ ألف ليرة منحا عند الزواج اعانة تتراوح بين ١٠٠٠ و٣٠٠٠ ليرة . وهذه المنحة تبقى كما قلنا دينا قائما . فاذا جاء المولود الأول نقص الدين بمقدار ١٠ فى المائة فاذا جاء المولود الثانى نقص ١٠ أخرى . وكذلك المولود الثالث . ويبقى على الزوجين ٧٠ فى المائة من الدين . فاذا جاء المولود الرابع الغى الدين كله . والمانيا وايطاليا تطالبان المستعمرات لأنهما تضيقان بابنائهما . .

اخبار اقتصــــــــادية

المالية المصرية

كتب الدكتور احمد ماهر وزير المالية في الملحق الخاص من جريدة الديلي تلغراف ما يلي

ان المالية المصرية فى الوقت الحاضر تجتاز فترة دقيقة . وليس ذلك لنقص فى النظام المالى القائم ولكن لان العهد الحاضر هو عهد قد تحرجت فيه معظم الشؤون العامة واتصال المسائل المالية بها اتصالا وثيقا يجعلها — في هذه المسائل — متأثرة بهذه الحالة ايضا. ومن حسن الحظ فى مصر ان تواجه البلاد هذه الحالة وهى حرة مطلقة من القيود الكثيرة التى كانت تفرض من قبل على ماليتها والتى كانت تجعلها اضعف من ان تتحمل خطورة الموقف الحاضر. والمقصود من هذه الكلمة ايضاح الطرق التى عولج بها هذا الموقف واتجاه العلاج فى المستقبل

وسنبين هنا الاسس المتينة التى تقوم عليها ميزانيتنا . ففى السنين الثمانى عشرة الماضية لم يقع بالميزانية اى عجز الا فى سنتين اثنتين . احداهما سنة ١٩٢٠ وكان السبب لهذا العجز تلك الظروف الاستثنائية التى تلت الحرب الكبرى . والتى اقتضت عندئذ زيادة المصروفات لان الحاجات الجديدة للتجديد والاصلاح الذى كان قد وقف مدة الحرب — كل هذا قد جعل العجز فى هذه الميزانية ١٥،٦٠٠،٠٠٠ جنيه وهو مبلغ كاد يستهلك المال الاحتياطى ثم جاءت بعد ذلك سنة ١٩٣١ وكانت الازمة العالمية على اشدها وقد اجتاحت مصر فحدث ايضاً عجز فى الميزانية

وفيما يلى بيان بالتعديلات التى طرأت على نظام الميزانية لمعالجة الموقف الحاضر مع التقديرات التقريبية لما سوف يطلب منا فى المستقبل

وقبل ذلك نذكر خلاصة للميزانيات فى السنوات الخمس الماضية وهى بالمليون :

السنة	الايرادات	المصروفات	زيادة الايرادات
١٩٣٣ر٤	٣٢ر٦٣	٣٠ر٥٥	٢ر٠٨
١٩٣٤ر٥	٣٣ر٧٢	٣١ر٦٠	٢ر١٢
١٩٣٥ر٦	٣٤ر٩٦	٣٣ر٦٥	١ر٣١
١٩٣٦ر٧	٣٥ر٥٠	٣٤ر١٩	١ر٣١
١٩٣٧ر٨	٣٧ر١٥	٣٦ر٣٣	ر٨٢

هذه هى الايرادات والمصروفات المحققة. وفى السنة المالية الجديدة ٩–١٩٣٨ تبلغ التقديرات للميزانية الجديدة ٢٧ ، ٤٣ مليون للايرادات و ٣٩،٠٠ مليون للمصروفات

وتقديرات الحكومة للميزانية تميل نحو التحفظ فى الايرادات اما فى المصروفات فان التقديرات قلما تبلغ ارقامها فى الواقع وهذا هو السبب فى اننا قد اعتدنا ان نجنى فى آخر كل عام — ما عدا الاعوام الاستثنائية — فائضا فى الايرادات على المصروفات ، وحتى فى سنة ١٩٣٥ حين كانت الظروف السياسية تطالبنا بزيادة فوق العادة فى المصروفات استطاعت موارد الدولة أن تثبت كفايتها حتى خرجنا من هذا العام بفائض فى الايرادات.

وفى السنتين الأخيرتين ظهرت محاولات يراد بها الدقة فى التقديرات للميزانية ، وكان من أثر هذا ان نقصت زيادة الايرادات ولكن وجود هذه الزيادة يدل على أن المالية المصرية سليمة. ولم يكد الانتعاش يسود الحالة الاقتصادية فى مصر بعد الازمة المالية حتى شرعت موارد الدولة تزداد بما اتاح للحكومة أن تزيد مصروفاتها التى تتطلبها حاجات الاصلاح الاجتماعى والتطور الدولى الجديد

وقد تمكنت مصر بوجود هذا الفائض السنوى من أن تؤلف مالا احتياطيا ، والمتبع فى بريطانيا العظمى ان يستخدم هذا الاحتياطى فى استهلاك الدين العام

أما فى مصر فان المتبع ان يضاف هذا الفائض السنوى الى المال الاحتياطى . وقد اتبعنا هذا التقليد لانه من مخلفات السنين الماضية حين كانت مصر مقيدة باتفاقات دولية وكان نظام الضرائب

بعيدا عن المرونة فنشأت من ذلك العادة بادخار جزء كل عام لوقت الحاجة . واستمرت هذه العادة الى الآن .

وحسبنا ان نقول هنا انه الى ان تنتهى من مشروعات الضرائب الجديدة التى سنذكرها بعد لا نستطيع ان نزعم ان نظام الضرائب فى مصر يقارب الكمال فى نظر أى وزير من وزراء المالية الذين يطمعون فى موازنة الميزانية موازنة حقيقية تتفق والواقع وليست موازنة حسابية تكتب على الورق .

وفى سنة ١٩٢٠ استهلك المال الاحتياطى جميعه تقريبا . ولكنه أخذ يتكون بعد ذلك وينمو . وهو يتكون من ١٠ر٢٥٠ر٠٠٠ جنيه موظفة فى سندات مصرية تبلغ قيمتها الاسمية ١٢ر٨٤٢ر٠٠٠ جنيه . وقد اذيعت اشاعات بان الحكومة تنوى بيع هذه السندات ولذلك يجب أن نؤكد هنا انه ليست هناك اية نية لارتكاب مثل هذه الحماقة .

وقد مضى على الحكومة أكثر من خمسين عاما وهى تنفق على أعمالها العامة من دخلها السنوى فقط حتى لو كانت تنفق على مشروعات تبرر الاقتراض . وهى فى الوقت الحاضر عاقدة العزم على أن تلتزم هذه الخطة إزاء التكاليف الجديدة التى تقتضيها مشروعات الدفاع وهى ليست بطبيعتها مشروعات انتاج إذ هى غير منتجة وسريعة الاستهلاك

وكانت الحاجة تمس على الدوام الى تعديل نظام الضرائب فى مصر تعديلا جوهريا حتى قبل الظروف الدقيقة الجديدة فقد كان التناسب معدوما بين الضرائب المباشرة والضرائب غير المباشرة مثل ضرائب الجمارك والدخان والانتاج التى كانت تبلغ أكثر من خمسين فى المائة من ايرادات الدولة . وكانت ضريبة الارض والمبانى تبلغ ١٦ فى المائة . وباقى الايرادات من الرسوم المختلفة التى تقتضيها الحكومة لقاء خدمات معينة . وكان عبء الضرائب غير المباشرة يقع أشد وقعة على الفقراء كما ان ضريبة الارض والمبانى كانت تفرض دون مراعاة القدرة على ادائها . حتى نشأ من ذلك أن كثيرا من السكان قد صاروا يؤدون الضرائب أكثر مما يجنون من الفوائد

ولم يكن من الممكن ان تعالج هذه الحال مع نظام الامتيازات الاجنبية القائم إذ كان من المستحيل عمليا فرض ضرائب جديدة على الاجانب . ولم يكن لوزير المالية فى مصر ان يفكر فى فرض ضريبة

تحمى من المصرى ويعفى منها الأجنبى . وقد كثرت الشكوى فى الماضى من جمود النظام المالى وكان كل تفكير فى زيادة موارد الدولة يحمل الصعوبات القائمة اكثر تعقيدا

ولهذا لم يكن ثم مفر من وضع سياسة سليمة . فمنذ الغيت الامتيازات الأجنبية شرعنا فى درس ما يجب ادخاله من التعديلات وإيجاد موارد جديدة للدولة حتى تتحقق العدالة بين جميع من يؤدون الضرائب . وقد استطعت ان اخرج من هذا الدرس بنتائج فتقدمت الى البرلمان بمشروعات لقيت كل ترحيب . وليس فى هذه الضرائب الجديدة المقترحة ما يعد عاليا . إذ هى معتدلة والاختبار فى المستقبل سيبين ما فيها من نقص . وهى بلا شك ستقوى الحكومة وتمكنها من القيام بمشروعات الدفاع عن سلامة البلاد

واذا رجعنا الى الميزانيات القريبة الماضيـــة يتضح لنا ما يبرر هذه الاتجاهات الجديدة . فقد زادت مثلا نفقات التعليم من ٣٠٠٠٠٠، ٢ فى سنة ١٩٢٦ و الى ٤ ملايين جنيه فى سنة ١٩٣٧

وليس هذا تقدما عظيما إذا ذكرنا ان الحكومة مضطرة الى تعويض ما فاتها فى الماضى وكذلك الصحة العامة فى حاجة الى العناية والاصلاح

وقد زادت نفقاتها من مليون جنيه فى سنة ١٩٢٦ الى ٠٠٠، ٠٠٧، ٢ جنيه بعد ١١ سنة

وهناك الدفاع الذى شعرت البلاد تدرك خطورته ، ففى سنـــة ١٩٢٦ لم ينفق على الجيش سوى ٠٠٠، ٠٠٠، ٢ جنيه فصار سنة ١٩٢٧ مبلغ ٠٠٠، ٩٠٠، ٢ جنيه

ولـكن اهمية الدفاع الوطنى تظهر فى تقديرات الميزانية الحالية إذ قدرت نفقاته بمبلغ ٠٠٠، ٢٥٠، ٦ جنيه

ومما يجدر ذكره ان الديوان الملكى قد خفض المخصصات من ٠٠٠، ٨٥٩ جنيه الى ٤٢٣،٠٠٠ جنيه اى انه قد توافر للميزانية بذلك نحو ٦٠ فى المائة من هذه المخصصـــات . وذلك تقديرا من الديوان الملكى لحاجة البلاد الى كل قرش

وقد جاء فى خطبة العرش التى القيت فى البرلمان فى ١٩ نوفمبر الماضى ان هناك مشروعات ستحتاج الى زيادة النفقات منها :

١ — مشروعات الدفاع التى تتضمن الجيش، والقوات الجوية ، والقوات البحرية، والاحتياطات

من الغارات الجوية ؛

٢ ـ الالتزامات الناشئة من المعاهدة وهى تتضمن الثكنات والطرق والجسور والسكك الحديدية

٣ ـ الصحة العامة التى تتضمن توفير المياه للشرب ، والمستشفيات ومساكن العمال .

٤ ـ مشروع التوليد الكهربائى فى خزان اسوان

٥ ـ الرى وانشاء القنوات الجديدة والمصارف ، واتقاء الفيضان ، وتزويد الواحات بالماء

٦ ـ المالية . وأهمها مسألة الديون العقارية

ولم تعين تقديرات للانفاق على هذه المشروعات لأن كثيرا منها لا يزال قيد الدرس والبحث ولكن امكن القيام مع ذلك ببعض منها . مثال ذلك تزويد مياه الشرب ووزارة المالية عاقدة العزم على بحث الموارد التى سينفق منها على هذه المشروعات من الايرادات . وهى واثقة بأن القيام بها ممكن وان كان هذا قد يؤجل تنفيذ مشروعات اخرى تعد اقل منها اهمية منها

الضرائب الباهظة فى انجلترا

فى انجلترا يؤدى الأغنياء أكثر من ثلث ثروتهم فى ضريبة الدخل . فاذا كان دخل الغنى يبلغ ستين الف جنيه فى العام وجب عليه أن يسلم الحكومة منه كل عام أكثر من عشرين الف جنيه ولا يبقى له غير أربعين الفا

وضريبة الدخل هذه مع ابهاظها تعد رحيمة الى جنب ضريبة التركات . فان الغنى الذى يترك مليونى جنيه يجب أن يسلم ورثته الحكومة من هذا المبلغ نصفه أى مليون جنيه

ولكن هاتين الضريبتين تتدرجان تدرجا عادلا . فاذا كان ما يتركه انسان لورثته خمسمائة جنيه فان الضريبة لا تزيد على خمسة جنيهات . أى واحد فى المائة . فاذا بلغت عشرة آلاف جنيه فهى أربعة فى المائة . فاذا كانت مائة الف جنيه فهى ١٩ فى المائة . فاذا كانت مليون فهى أربعون فى المائة وهكذا . والسلم طويل تبلغ درجاته فى هذه الضريبة ٣٣ درجة لكل منها سعر خاص يزداد كلما ازداد المال الموروث

وهكذا الشأن فى ضريبة الدخل . فان دخل الزوجين إذا بلغ ٢٢٥ جنيه فى العام عوفى من

الضريبة ثم تتدرج الضريبة بعد ذلك من واحد إلى خمسين فى المائة مع تمييز المتزوجين على العزب . ومع مراعاة عدد الأولاد . فاذا كان للزوجين ثلاثة أولاد أو أكثر فان الضريبة تكون على أقلها . ثم تزيد إذا كان الاولاد اثنين . وتزيد إذا لم يكن هناك أولاد وتزيد أكثر وأكثر إذا لم تكن هناك زوجة

وهذه الضرائب العالية يتحملها الجمهور الانجليزى بارتياح أو بمضض . وهى تمتاز بأنها تسير مع حال الرخاء العامة فاذا كان هناك أزمة أو كساد فان الرجل الذى أدى فى العام الماضى نحو ألف جنيه فى ضريبة الدخل قد لا يؤدى شيئاً هذا العام إذا اثبتت دفاتره أنه لم يكسب غير القليل الذى يعافى من الضريبة ، ومن هنا العدالة فى هذه الضريبة إذا قورنت بضريبة الارض عندنا . لان هذه ثابتة لا تتغير ولا تختلف بين سنى الرخاء والكساد وتأخذها الحكومة حين يباع القطن بثلاثين جنيها وحين يباع بثلاثة جنيهات على السواء

وتقارب ميزانية بريطانيا ٨٥٠ مليون جنيه من هذه الضرائب وغيرها . يذهب معظمها فى الانفاق على التسليح . ولكن كثيراً منها يذهب فى اعانة العاطلين والمسنين والمرضى ، وهذه الضرائب (وخاصة ضريبة التركات) تمحو رويداً رويداً التفاوت العظيم بين الاغنياء والفقراء

القناة

كثر اللغط هذه الايام عن قناة السويس . وهناك من يزعم أن الازمة القائمة بين فرنسا وايطاليا بشأن تونس ونيس وكورسيكا انما هى أزمة مفتعلة تخفى وراءها خلافاً بشأن قناة السويس لأن ايطاليا تريد خفض أجور المرور فى القناة وتحتج بأنها الدولة الثانية فى عدد البواخر التى تمر فى القناة وان هذا المرور يكلفها مبالغ ضخمة

وليس الايطاليون من حملة الاسهم للقناة أو هم لا يحملون منها المقدار الكافى لكى يتعوضوا بارباحها ما يؤدونه فى رسوم المرور . ذلك ان معظم هذه الاسهم فى ايدى الفرنسيين والانجليز . وتحمل الحكومة الانجليزية ٦٠٢ ر ٧٦ سهم اشتراها اللورد بيكونسفيلد سنة ١٨٧٦ بدون اذن البرلمان . وقد فعل ذلك لكى لا يفتضح السر فتعرض دولة أخرى عرضاً أكبر على حكومة مصر وهذه الاسهم التى اشتراها بيكونسفيلد لحكومته بمبلغ ٦٣٢ر٦١٦ر٤ لا يقل ثمنها الآن عن خمسين مليون جنيه

حديث الادب والادباء

عصر الدعاية

من مقال للاستاذ عباس محمود العقاد في الدستور

أحضرنا هذا الموضوع — موضوع فلسفة الدعوة — كتاب جديد عظيم القيمة لمن يريد تقويم الافكار والدعوات وعرض الانباء والمرويات على محك الحقيقة ومقياس الامتحان، ونعني به كتاب ما كنزي في « صعود أسمار الدعوة » الذي ظهر بالانجليزية منذ أيام

وليس من الميسور تلخيص هذا الكتاب ولا تقديم زبدة وافية منه في مقال واحد، ولكننا نشير الى مغزاه واسلوبه احسن اشارة إذ نلخص أسرار الدعوة الناجحة في رأي المؤلف أقرب تلخيص مستطاع

فأول أسرارها التكرار، لان الجماهير لا تذكر طويلا ولا تلبث أن تنسى ما قبل أمس الا أن يعاد اليها ثم يعاد في توكيد وأطراد .

وثاني أسرارها « اللون » ويقصد به المؤلف أن تصبغ كلامك بالصبغة التي تسترعي الحواس والعقول، فلا تحفل كثيرا بالادلة والبراهين، بل عليك أن تسوق الاخبار مساقا يثير العطف على وجهة نظرك والنفور والاشمئزاز من خصومك، وهذا هو التلوين أو مزج الدعوة بشعور القراء سامعين

وثالث اسرارها أن تشتمل على جرثومة من الصدق والواقع الذي يقبل الاثبات والتقرير، إذ لا ينفع التزييف إلا بجزء من الذهب الاصيل

ورابع أسرارها أن تدور حول شعار محفوظ أو كلمة سيارة يسهل انتقالها على الافواه والتغني بها،

ا را كب والجماعات

علماء، كل فى فرعه الخاص . وقد تكاتفوا على التأليف والترجمة والنشر . وهم يخرجون من وقت لآخر زبدة الثقافة الاوربية فى لسان عربى مبين وطبع متقن . ويسرنا كل السرور أن نبشر القراء بأن هذه اللجنة — زيادة على ما تخرج من مؤلفات نفيسة — ستصدر فى أول يناير من سنة ١٩٣٩ مجلة اسبوعية باسم الثقافة نعتقد بما نعرف عن أشخاص القائمين بتحريرها إنها سوف تكون من الوسائل العظمى لخدمة النهضة المصرية

وهذه الكتب الخمسة التى أخرجتها اللجنة فى الشهر الماضى تعد جميعها من عيون الادب الاوربى . وكتاب الاغنياء والفقراء هو جزء من كتاب ولز الضخم الذى يسمى فى الاصل « عمل الانسان وثروته وسعادته » وولز هنا يجمع بين علم الاقتصاديات وفن الادب . وهو يحدث القارىء عن الاغنياء ويرسم الاشخاص البارزين منهم . ثم يقابل بين الفقر وكيف الغنى ويتفق الانتاج الكثير مع العوز والحاجة . وهو فى كل ذلك منير ولذيذ

والسمفونية الريفية من وضع أندريه جيد الأديب الفرنسى الكبير . والمترجم الاستاذ حسن صادق يجيد ترجمة القصص وهو ينقل إلى القارىء الجو الأصلى فى أداء ناصع . وقصة أدولف التى نقلها قبل سنوات قد دلت القراء على مكانته فى الترجمة . وهذه القصة لا تقل عنها سواء فى الموضوع أم الشكل

وجان دارك هى درامة أخرجها برنارد شو وقدم لها مقدمة بلغت فى الترجمة العربية ١٤٠ صفحة والدرامة تمثل عصر الانتقال الدينى فى أوربا أو أوائل هذا العصر حين شرع الناس يستنكرون سلطان الكنيسة ويطلبون تقرير المصير للضمير الانسانى . والمترجم يراعى الدقة ولا يتهاون فى تعبير ولذلك قد خرج كتابه وهو تحفة تقتنى وتدرس

والطلسم قصة قديمة لولتر سكوت عن الحروب الصليبية وقلب الاسد . والمعروف الآن عن هذه الحروب أكثر جدا مما كان يعرف ولتر سكوت الذى مزج الحقائق بالخيال . ولكن القصة تقرأ مع ذلك فى لذة وفائدة

وتس قصة تمثل المزاج الانجليزى وضعها توماس هاردى أعظم الكتاب الانجليز الحديثين . وقد وصفه المترجم فى مقدمته بقوله : « وهاردى حين يتنقل بحوادث قصته وأشخاصها فى ذلك المتسع المترامى بين وديان وقلاع وقرى وبلدان وجداول وغابات يصف كل منظر يقف به وصف خبير دقيق

محب للطبيعة نافذ إلى أسرار جمالها يصفها فى اقبالها وادبارها وفى رضاها وغضبها ويصف أديمها وسماءها وضياءها ووحشها وطيرها وهواءها . فلا ترى فى قصصه رجالا ونساء يتحادثون بين جدران أربعة بل ترى الطبيعة فى رحبها والحياة فى عجيجها وجيشانها والسكون فى بسطه وتناهيه ... »

وقياس الذكاء هو ثلاث محاضرات القيت فى هذا الموضوع . وهى ثمرة اختبارات قام بها المؤلف وغيره فى التلاميذ المصريين ويحسن بالمعلمين والاباء أن يدرسوا هذا الكتاب حتى يقفوا على مقدار ذكاء تلاميذهم او ابنائهم

وتأملات الفيلسوف اوريليوس هى مجموعة اراء فلسفية دونها هذا الامبراطور . وبعضها بعيد بتلابساته الاصلية عنا حتى لانكاد نفهمه . ولكن بعضها عصرى الصبغة . واليك بعض ما يقول :

عش كأنك ميت واستعمل باقى وجودك كما تتطلبه الطبيعة كأنها منت عليك بها ، وانك عشت كل الوقت الذى منحته حتى الآن

احبب ما يحدث لك : اعنى به ما يتيحه لك ايام القضاء . لان لاشىء انسب من هذا

فى كل حادثة تحدث لنا يجب علينا نصب ان نضع اعيننا كل اولئك الذين سبقونا وقاسوا التجربة نفسها واحتدموا عليها وتذمروا منها . اين هم الآن ؟ هم ليسوا فى مكان معلوم . أتريد اذا ان تتشبه بهم؟ لتكن لك رغبة واحدة ، هى ان تعمل جيدا ما تعمله وتذكر ان مادة عملك لا تتغير

أنظر بعينى رأسك ها هو ذا ينبوع الصلاح وها هو ذا على وشك الانفجار اذا عرفت كيف تحفره وتعمقه

يجب على المرء ان يسلك حسنا ، وان يكون رزينا عند ما يمشى او عند ما يجلس وبما ان الفكر يشع على الوجه بحيث يطبع عليه الرزانة والهدوء ، فانه يجب على كل جسم ان تكون له هذه النعمة . ولكن على المرء فى كل هذا ان يتحاشى كل مبالغة

فن الحياة اقرب الى فن المصارعة منه الى فن الرقص . فعلينا ان نكون على استعداد لان نحتمل بشجاعة وثبات تلك العوارض الفجائية غير المنتظرة

ادرس حسنا أولئك الاشخاص الذين تبغى رضاهم وسل ذاتك ما هى الاصول التى تدبرهم . فان سرت هكذا فانك إما ان تعذرهم ان هم ارتكبوا هفوة بجهل منهم واما ان تستغنى عن رضاهم ان

استطعت ذلك بصعودك الى ينبوع ارائهم

قال الفيلسوف افلاطون : « كل نفس مجردة من الفضيلة هي مجردة منها رغما عنها » وكذلك يمكننا ان نقول : رغما عنها نراها مجردة من العدل ، ومن الاعتدال ، ومن سائر الفضائل . فمن الضروري ان لا ننسى ذلك

وقصة عنترة هي مجموعة من ترجمته وشعره وبعض ما قال المؤلفون المصريون عنه قام باخراجها الاستاذ الياس قنصل محرر مجلة المناهل في بوانس ايرس . وقد قال في المقدمة : « ليس بين شعرائنا القدامى من يمثل كعنترة ابن شداد الروح العربية افضل تمثيل واكمله فقد تمركزت فيه الفضائل التي كانت وما تزال من ميزات العروبة . تجمع الى الكرم والغيرة والنجدة والشجاعة واللطف والوقار ووقفت المصاعب العديدة في سبيله الى هدفه المنشود . فراح يذللها الواحدة تلو الاخرى دون ان يعتريه شيء من الوهن »

كتب الشهر الجديدة

١ — الأغنياء والفقراء . تأليف هـ . ج . ولز . وترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود (٢٢٨ ص . من القطع الكبير)

٢ — السمفونية الريفية . تأليف أندريه جيد . وترجمة الأستاذ حسن صادق (١١١ ص . من القطع الكبير)

٣ — جان دارك . تأليف جورج برنارد شو . وترجمة الدكتور أحمد زكى بك (٣٥٥ ص . من القطع الكبير)

٤ — الطلسم . تأليف السر وليم سكوت . وترجمة الأستاذ محمود محمود محمد (٤٠٨ ص . من القطع الكبير)

٥ — تس سليلة تربرفيل تأليف توماس هاردى . وترجمة نظرى أبو السعود (٤٢٤ص. من القطع الكبير)

٦ — قياس الذكاء للأستاذ اسماعيل محمود القبانى (١٠٤ ص . من القطع الكبير)

٧ — تأملات الفيلسوف أوريليوس ترجمة الأستاذ جورج مراد العزيزات (١٤٨ ص . من القطع الكبير)

٨ — عشرة عدد خاص من مجلة المناهل (٨٦ ص من القطع الكبير)

الكتب الخمسة الأولى هى من طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر وهى اللجنة التى يعرف فيها القراء تضحيات متوالية لخدمة الثقافة العربية . وليس أعضاؤها تجاراً يعنون بالكسب فقط، ولكنهم

وخامس أسرارها أن تتوخى قبلة ملحوظة فى شخص موجود . كما صنع الحلفاء حين أرادوا اغراء الولايات المتحدة بالمشاركة والحرب العظمى فقد علموا ان الرجل الذى يقود الامة هو الرئيس ولسون وان هذا الرئيس يؤمن بالمثل الاعلى للحرية والحكومة الديمقراطية فضربوا على هذه النغمة واجتهدوا فى تصوير قضية الحلفاء كأنها قضية هذا المثل الاعلى فى جميع مقاصده وآماله ، ولم ينسوا غيره من الزعماء فضربوا على نغمة توافقهم من بعض الوجوه . وقد يصعب على الدعاة ان يتوخوا هذه الوجهة حين يكون المطلوب تأثيرا فى الالوف والملايين ، فلابد إذن من المجازفة بالخطأ فى تخمين هذه الوجهة وتقديم الراجح على المرجوح

وسادس أسرار الدعوة اخفاء سوء النية أو المصلحة المتحيزة أو المطلب الذى لا يكترث له جمرة الناس مجتمعين .

وسابع أسرارها « التوقيت » والانتظار فى موعد معروف ، حتى تصبح كالعادة التى يتعودها طلاب الرياضة والنزهة فلا تخل فى مواعيدها أقل اختلال ، ولا يمنع هذا أن تغتنم المناسبات العارضة كلما طرأت بين ميعاد وميعاد .

* * *

هذه هى خلاصة أسرار النجاح فى رأى المؤلف ، وتلك هى فلسفة الدعوة فى آراء أصحاب المذاهب الاجتماعية والحكومية ، فاذا مهدنا بهذا المقال لفريق من ضحايا الدعوات المضطربة فى هذا الزمان ان يضعوا كل كلام فى موضعه وان يردوا كل غرض إلى قراره فذلك مطلب جدير بقارئى الادب وقارئى السياسة على السواء .

الدكتور سون يات سين

لابراهيم شيونغ جيونغ تشونغ فى منبر الشرق

من المعروف أن للصينيين حضارة عظيمة أزهرت قبل الميلاد بآلاف السنين فهم أقدم الامم فى العالم تمدنا . فقد كانوا أول من ابتكر صناعة الورق وأول من ربى دودة القز لينسجوا من خيوطها الملابس الحريرية ، وغير ذلك مما لا يتسع المقام لاحصائه . وكانوا يداً عاملة للمجتمع

الانسانى حتى استولى المنشوريون على اراضيهم فعملوا على إذلالهم وتضييق دائرة تعاليمهم ووقف تقدمهم العلمى والادبى ، وظلوا مقيدين بالاغلال بينما العالم يسير من حولهم متقدماً الى الامام حتى جاءهم الدكتور سون يات سين أبو الجمهورية الصينية فأنقذهم من هذه العبودية الظالمة وحررهم من تلك القيود المستبدة وأخرجهم من الظلمات الى النور .

ولد الدكتور سون سنة ١٨٦٦ بمركز من مراكز (كانتون) يسمى (بصوما) — وقد لقب باسمه الان — فى بيت فقير وكان ثانى اخوانه الثلاثة وشب عزيزا كريما ذا خلق قويم لايخفض رأسه ولايذل نفسه لأى مخلوق فى مسألة مادية . وتعلم مبادىء العلوم فى مدرسة بلدته وكان متقدما من بين أقرانه متفوقا دائما عليهم وقد طبع فى نفسه الاستقلال فى الرأى منذ الصغر فلا يقبل رأيا إلا بعد نظر أو مناظرة حتى يصل اليه بعقله وتفكيره ولايحب أن يقلد أحدا دون تفكيرا أبدا .

وقد ساعد والده فى الحقول منذ طفولته وشغف بسماع قصص الثورات الوطنية وتواريخها فتأثر بها فى نشأته وزادت فى نفسه حبه للوطن العزيز وشغفه بتحرير بلاده واتحادها مهما لاقى فى سبيل ذلك من الصعوبات . وكان لتربيته هذه فى الصغر أثر كبير فى تحقيق أغراضه فى الكبر فقد سافر الى (تان هسيانج شان) مع أخيه الكبير وهو فى الثالثة عشر من عمره . ودخل مدرسة مسيحية هناك بقى بها ثلاث سنوات وكان دائماً فى مقدمة الناجحين . ثم رجع الى بلاده سنة ١٨٨٢ امتثالا لأمر أخيه ولما وصل الى الجمرك راقبه الموظفون مراقبة دقيقة فناقشهم مناقشة شديدة وقد زاد ذلك فى عزمه على إصلاح البلاد وتجديدها ثم تزوج بعد رجوعه مباشرة وقام يبين للناس سوء السياسة فى البلاد وتأثيره فى الحياة القومية وصرح لهم بوجوب الاصلاح والتجديد والا ضاعت حرية الشعب واستقلاله ، ثم غادر بيته وأخذ يحث الناس على التحرير من الوثنية إذا اعتقد أن لها أسوأ الاثر فى تقييد عقول الشعب واستقلاله . ولكن الناس قاموا ضده ووقفوا فى طريقه فرحل الى (هونج كونج) ودرس هناك مدة ثم اشتعلت نار الحرب بين الصين وفرنسا فى ذلك الوقت فأخذته الغيرة على وطنه وتأسف على وطنه وتلهف على بعده عن ميدان القتال . ونجح فى الامتحان بعد سنتين وكان أول الناجحين فتعلم فى كلية الطب فى (كانتون) ثم التحق بجامعة

الطب فى (هونج كونج) واتخذ الاستاذ جى سى ليو مدير الجامعة صديقا وبين له رأيه فى إصلاح السياسة الداخلية فوافق عليه هو وأنصاره ثم صادق الدكتور رجلين هما جو اشوفاى ويوشوين واتحدث كلهم فذهبوا الى « هونج كونج » و «أموى» ليدعوا الناس الى الثورة على الحكومة لاصلاح البلاد ومن ثم لقبوا بالابطال الاربعة ثم بنى الدكتور مستشفى فى «أموى» بعد تخرجه من الجامعة فحسده الاطباء هناك فانتقل الى « كانتون » وجعل يكون فروعا كثيرة لجمعيته الرئيسة لاحياء الوطن فالتجأ اليه كثيرون .

وقد رحل الى (بكين) و(تيان تشين) و(هانكو) وغيرها من المدن ليعرف حقيقة البلاد وطرق المواصلات ومحلات الانهر ، ثم أرسل الى رئيس وزراء الحكومة الملكية رسالة نصحه فيها بأن يستشير العلماء والعقلاء ليستغل موارد البلاد ويعمل على اسعاد الشعب ولكن الرئيس لم يقبل منه شيئا فزاره الدكتور فى بيته وطلب منه اصلاح السياسة لتحيا البلاد بعد موتها فاعتذر الرئيس وقال له انه لا يستطيع القيام بهذا العمل الجليل لانه كبير فى السن ولم تبد من الحكومة نية فى اصلاح السياسة وتقدم البلاد فعزم فى نفسه على قلبها ولو كانت ثابتة كالجبال .

شبت الحرب بين الصين واليابان سنة ١٨٩٥ فذهب الدكتور الى (تان هسيانج شان) ليعقد اجتماع جمعية أحياء الصين ورأى أن يتوجه إلى أمريكا للعمل على اتحاد الصينيين هناك غير أن الجهل المخيم على عقولهم فى ذلك الوقت لم يساعده على تحقيق غرضه ولم يجد من يساعده فى الحركة الوطنية إلا أخاه ورجلا من التجار . ثم انتهت الحرب بانتصار اليابان فأرسل اليه أعضاء الجمعية رسالة طلبوا منه فيها أن يرجع اليهم ليهاجموا (كانتون) ويتخذوها مركزاً للثورة ولكن لم يلبث الامر حتى أخمدت الحكومة نار الثورة وقتلت من قام بها . اما الدكتور فقد تنكر وفر إلى اليابان وذلك فى سنة ١٨٩٦ ثم كتب إلى صديقه جى سى ليو ليرجع إلى الصين وقصد هو إلى (تان هسيانج شان) لتوسيع نطاق الجمعية ثم لحق بأمريكا ليضم اليها جمعيات صينية أخرى وكان الناس يحبونه هذه المرة حبا شديدا . ثم وصل إلى انجلترا فقبض عليه قنصل الصين بحيلة لكنه نال حريته بمساعدة أستاذ له من قبل ثم مكث فى أوربا يدرس حالتها السياسية ويقف على القوانين والمعاهدات . وعاد إلى اليابان ثانية وأمر صديقه جى سى ليو بالذهاب إلى ضاحية (خوى جوى) وصديقا آخر اسمه شى كيو يوى بالذهاب

إلى عاصمة (كانتون) نفسها وهو يدير الثورة فى (هونج كونج) . ولما علم الانجليز بذلك قاموا لمنعها ، لكن الحرب كانت قد نشبت بين الثوار والجيوش الحكومية ودامت بضعة أشهر، وأسفرت النتيجة عن انهزام الثوار وتضحية صديقه الثانى شى كيو يوى ولم ينجحوا إلا فى حب الناس لهم ثم ثم تمكنوا من اصدار جريدة القومية فى اليابان وجريدة اليقظة فى شنغهاى لنشر أخبارهم وايقاظ الشعب من رقوده فانتشرت تلك المبادىء لاحياء الصين واستيقظ الصينيون المقيمون فى الخارج فتقدموا بأموالهم لمساعدة الثورة ثم عقد الدكتور اجتماعا عاما فى باريس وآخر فى برلين وثالثا فى باريس أيضا وترأس اجتماع الحلفاء الثوار فى طوكيو فتعين اسم البلاد وتشكل العلم الوطنى والحزبى وأعلنها فى داخل الصين ، ثم قامت الحرب بين الثوار والحكومة ثانية ودارت رحاها مدة من الزمن وفاز الثوار فى النهاية بالنصر العظيم بعد أن أنفقوا الكثير من الاموال والانفس . ثم عاد الدكتور الى الصين آمنا بعد أن جهد وتعب وسهر لانقاذ الوطن سنين طويلة فانتخب رئيسا للحكومة الجمهورية فى عاصمتها (نانكين) ولما تنازل الملك عن عرشه ثار رئيس وزرائه (وهو الذى نصحه من قبل) ومن معه فقتل وزير الزراعة بغير حق فحاربه الدكتور حتى مات وخلفه آخر يريد أن ينقض ماسنته الجمهورية من الدستور فغضب الدكتور وألف جبهة متحدة للمحافظة عليه فتفرق الشماليون عن الجنوبيين وظل الرئيس فى (كانتون) ثم تمرد وزير الحربية فنادوها سرا حتى أخمدت ثورة الوزير فعم الامن والسلام وزال كل ما يضر الشعب والمجتمع . ثم اتجه الدكتور إلى إصلاح البلاد لتكون قوية بين الدول وبنى أساسها متينا باحترام شعوب الصين الخمسة واتحادها وقال انهم اخوان . ثم نظر الى الخارج فرأى أن ينقذ الضعفاء من أيدى المستعمرين لتنتشر العدالة بين الناس أجمعين ويظللهم لواء السلام الى الابد ؛ ثم أسس المدرسة الحربية لتدريب الشباب على العسكرية والدفاع عن الوطن . ولما توجه إلى (بكين) أخيرا لتطهير الشمال فاجأه المرض فمات فيها بعد أن بذل كل حياته من أجل إحياء البلاد ، ولم يجد وقتا يستريح فيه طول مدة جهاده الشاق ، وقد قال حينما حضرته الوفاة : «لقد جاهدت فى سبيل الوطن أربعين عاما .» وله مؤلفات وطنية منها «مبادىء الشعب الثلاثة» و «القواعد الأساسية لقيام الدولة» و «الخطط المهمة فى تأسيس المملكة» وغيرها من الكتب القيمة .

الايمان والعلم

من مقال للاستاذ عبد المنعم خلاف فى الرسالة

لا حاجة بنا الى افاضة القول فى أن العلم بمعناه الحالى — وهو اليقين والاثبات المبنى على التجربة والمشاهدة الحسية — إنما هو من أدوات الايمان بالخالق المدبر . فلو فرضنا وقالت كل الفلسفات والجدليات انه ليس هناك خالق للكون لظل العلم وحده يقول بوجود ذلك الخالق . لان كل ما فى الطبيعة يشير ويصيح بأن له خالقاً عالماً يقف أمامه العقل العلمى حائرا دهشاً من سر صنعته وتركيبه وإعداده الاشياء للحياة !

واعتقادى أن أكبر خادم للايمان هو العلم الكونى ، وأن المختبرات والمعامل لو أنصف الناس لعدوها من أقدس المحاريب التى يعبد فيها الاله وينعت بما يليق بكماله وجلاله .

والالحاد بين علماء الطبيعة أقل منه فى أى طائفة من طوائف علماء العلوم أو الفنون الاخرى . ولذلك قال القرآن « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وصدر الآية يدل على أن العلماء هنا مقصود بهم علماء الطبيعة والمتأملون فيها إذ يقول « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك . إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

ولو ان علماء الطبيعة يدخلون معاملهم ومختبراتهم مستحضرين روح العبادة كما يفعلون إذ دخلوا إلى المعابد إذا لتنزل عليهم إلهام وتوفيق ولذات لاتفنى .

العلم لاسلطان له على البحث فى ذاته لانه ليس من مجاله ، فمجاله مايقع تحت الحواس ، وإنما له أن يستنتج صفات الخالق . وهو فى هذا الاستنتاج يلتقى مع الفلسفة ، فأرسطو الفيلسوف وأرسطو العالم الطبيعى التقيا فى إثبات « السبب الاول » وكذلك اسحق نيوتن الفيلسوف والعالم التقيا فى قوله « إن خالق هذا الكون على علم تام بعلم الميكانيكا ! » وقل مثل ذلك فى بقية العلماء الالهيين كباستور وغيره من العلماء الذين إن ألحدوا فى إله الكنيسة فلن يلحدوا فى إله الطبيعة الذى هم أقرب الناس إلى معرفته وتقدير صفاته

ومن المؤسف أن إله الكنيسة فى أغلب الأديان غير الاله كما يدركه العلماء فى الطبيعة . هو إله بشرى

يتشكل فى أجساد البشر فى بعض الاديان ، خاص بقبيل من الناس فى بعضها الآخر ، محب للدماء فى البعض الثالث ، محب لعذاب الناس وفناء أجسادهم فى البعض الرابع ، معقد فيه ناسوت ولاهوت وأقاليم متعددة فى البعض الخامس . وهكذا وهكذا مما يقدر العقلاء السائرون مع الفطرة البسيطة اذا كفروا به وآمنوا بمن يجدون يده فى الطبيعة

وهنا يمتاز الاسلام امتيازا رائعا فى تقديم صورة للاله هى أسمى ما يمكن أن يدركه عقل على عن الكمال الالهى مع بساطة واستيعاب هامسر الفطرة وطابعها الذى يأخذ بنواصى جميع الناس علمائهم المتنهين وجهالهم المبتدئين ومن بينهما فى افاق المعرفة و الادراك فى القطبين وفى خط الاستواء وفى الشرق والغرب .

والواقع أن كل الأديان الالهية قدمت هذه الصورة التى يدرسها العقل . ولكن يد التحريف ـحب التأويل وتزيدات الكتاب ، عوامل الفناء ... نيان وتقلبات الحوادث بنصوصها الاصلية التى مسخت الصورة الرائعة الكاملة التى قدمها الرسل عن الاله كما أوحى اليهم .

لقد وصف الاسلام الاله بما يرضى جميع الناس ، فوصفه بأنه جبار قهار ، ورحيم لطيف ، ومنتقم ورءوف ، إلى اخر الأسماء الحسنى حتى يرضى امثال زنوج أفريقيا وبرابرة التبت الذين لايعبدون الاله الا اذا كان جباراً ، ولذلك يصورون الهتهم كالفيلة بصور هائلة ذات عدة رءوس وأيد وأرجل ، وليرضى أمثال اليونانيين الذين كانوا يتخيلون الهة متعددة للرحمة والجمال والتناسق والقوة والحب والحرب وغيرها .

